
القناص المحترف
٥
قلعة الرعب
مجدى صابر

طراز خاص من المقاتلين ..

ورجل مخابرات لا مثيل له .

إنه (القناص المحترف) ..

فقط اقرأ لكى تندهش وتتمتع بمغـامرات بطل من طراز فريد . واحـداث مثيرة لاهثة مذهـلة . ومقاتل لا شبيه له .. لا يعرف اليأس أبداً .. ولا الهزيمة ..

بطل ستقرأ مغامراته وبطولاته فى كتاب مميـز - أيضا - لا شبيه له فى أى مكان .

مجـدى صـابر

الفصـــل الاول

جريمة القتل

غادر (مراد) مطار « بن جوريون » فى أطراف تل أبيب ، وتطلع حوله يتأمل السيارات والعابرين والبنايات الصغيرة .. وطوقه إحساس بأنه صـــار فى قلب الخطــر .. وأنه قـد اقتحم عـرين الأسـد بقدميه .. وأن فرص النجاة قد لا تكون بمثل السهولة التى تخيلها قبل قدومه .

كان من الجنون حقاً أن يغامر بدخول « إسرائيل » بجواز سفره المصرى .. الذى يحمل اسمه المستعار (عادل فخرى) فحتى هذا الاسم كان معروفاً لعدد من أجهـزة المخـابرات العـالمية .. وفى مقدمتهـا « الموساد » .

كان تصرفاً بالغ الخطورة ·· أن يضع (القناص) جانباً جواز السفر الذى أعده قسم الوثائق فى المخابرات المصرية ، ويحمل هوية واسم مختلفين له ، كرجل أعمال يسعى لتصدير الملابس والمنسوجات إلى « إسرائيل » وأن يغامر بدخول تلك البلاد بجواز سفره الحقيقى ·· وكأنه كان يرغب فى الإعلان عن وصوله إلى العدو بأسرع وسيلة ، وقد كان واثقاً أن جهاز الكمبيوتر الذى سجل اسمه لدى وصوله صالة الجوازات يتصل مباشرة بقسم المعلومات بالموساد ، وأنه لن تمضى دقائق قبل أن تسعى خلفه طرائد القنص المتوحشة ·· وهى لا تصدق إعلان فريستها عن نفسها بمثل تلك الجرأة ·

وكان هذا ما يرغب فيه (القناص) ·· بل ما سعى إليه فى جرأة بالغة ·

كان مشهد جسد الزيادى الذى مزقته القنبلة ، وبقاياه توارى التراب ، والدموع الملتهبة فوق وجنتى زوجته ، ونظرة طفله البريئة ، كلها أخذت تعتصر مشاعره وتدفعه للقيام بأشد الأعمال تهوراً واندفاعاً ..

وهو الذى اشتهر بحرصه وتدقيقه ؛ ولكن تلك المرة لم تكن ككل مرة ·

وأشار إلى أول تاكسى مر به ·· وفى صوت عال وباللغة العربية وبلهجة مصرية قال للسائق وهو يأخذ مكانه فى المقعد الخلفى :

— خذنى إلى أقرب فندق ·· أيها السائق ·

فتطلع إليه السائق فى المرآة بدهشة ·· وغمغم غير مصدق : أنت مصرى ؟

كان من الواضح أن السائق غير معتاد على وجود المصريين فى « إسرائيل » ·

وتلاعبت ابتسامة باردة أشد قسوة من الصلب فوق شفتى (القناص) وهو يجيب السائق بهزة يسيرة من رأسه غير حافل بمعالم الدهشة التى ارتسمت فوق وجه السائق ·· ولو قُدر للسائق أن يدرى شيئاً عن طبيعة مهمة (القناص) وأنه ما أتى للسياحة ؛ بل لهدف آخر لربما مات بالسكتة القلبية !

وانطلقت السيارة براكبها ·· ومن الخلف اندفعت فتاة فى ملابس شرطة الجوازات عبر بوابة الخروج

من المطار ، وهى تلهث ·· وراقبت سيارة التـاكسى التى غابت عن بصرها غير مصدقة !

كان الاسم الذى رأته مدوناً قبل لحظات فى جواز سفر ذلك المصرى ، هو اسم أشهر من أن تخطئه أو تنسـاه ·· (عـادل فخرى) ·· الاسـم الحركى (لمراد عزمى) أو القناص المحترف ، والذى كان محفوراً فى ذاكرة كل العاملين فى الموساد ·· باعتباره من أخطر الأعداء ·· وكان وصوله إسرائيل بتلك الجرأة التى تخطت كل حدود المعقول ، تعنى أن أحداثاً هائلة سوف تقع ·

واسرعت إلى أقرب هاتف ، وأدارت رقماً خاصاً ·

رقم قسم مكافحة العملاء الأجانب ·· فى المخابرات الإسرائيلية ·

الشهيرة بالموساد ·

* * *

هب (عيزرايخمان) واقفاً ، وقد عكست ملامحه أقصى قدر من الدهشة والذهول ، وغمغم فى صـوت متحشرج قائلاً :

- أى جنون هذا الذى تتحدث عنه يا هارئيل ؟

أجابه مدير العمليات الخاصة فى انفعال وسرعة :

- هذا ما تيقنت منه قبل قليل يا سيدى ·· فلم أشأ أن أخبرك بالأمر قبل أن اتاكد منه دون أى احتمال للخطأ ، فلدينا صـورة من جواز السفر فى الجوازات تحمل الاسم وصورة صـاحبه ، وكـذلك حصلنا على بصمات الأصابع من سيارة التاكسى التى استقلها إلى الفندق · إنه هو دون أدنى شك ·

غمغم (عيزر ايخمان) مـدير الموساد وأنفاسـه تتصاعد لحد اللهاث :

- (مراد عزمى) ·· (القنـاص) فى بلادنـا علناً ودون انتحال أى شخصية مستعارة !!

هز (هارئيل شاحال) رأسه بسرعة مجيباً :

- لقد اتصل بى قسم مكافحة العملاء الأجـانب قبل ساعة ، فلم أصدق الأمر أيضاً ؛ ولكننى تأكدت منـــه ·

دق (عيزر) حافة مكتبه فى عنف وعيناه تبرقان بشدة ، وهو يقول :

- يالها من فرصة رائعـة أرسلها إلينا القدر

لنتخلص من هذا الرجل الـذى طالما أفسـد خططنا وأنزل الهزائم بجهـازنا وانتصر علينا فى كل مـرة تواجهنا فيها ، وقد جاء يسعى إلى نهايته فى بلادنا ‥ فأى جنون أتاح له المغامرة بذلك ‥ وأى قدر رائع جعلنا نكشف الأمر سريعاً ·

وصاح فى صوت مجلجل مضيفاً فى مساعده :

ـ ماذا تنتظر ‥ هيا اسرع وخذ افضل رجالك ، واذهب للقبض على هذا الرجل أينما يكون ·

ابتلع (هارئيل) لعابه قائلاً فى تؤدة :

ـ عفواً سيدى ‥ ولكنها قـد تكون خدعة مـن المصريين ، فالأمر فى جملته مثيراً للدهشة إلى أقصى حـــد ·

تساءل (عيزر) فى دهشة :

ـ خدعة ‥ هل تقصد أنهم أرسلوا إلينا رجلاً آخر مزيفاً يحمل نفس الاسم والملامح ؟

هز (هارئيل) رأسه نافياً ، وقال :

ـ ليس هذا ما قصدته يا سيدى ، فقد تأكدت أن ذلك الرجل بالذات هو (القناص) وليس من المعتاد على أى جهـاز مخابـرات ، خـاصة المخـــابرات

المصرية أن تبعث برجالها مكشوفين هكذا ‥ ومجىء (القناص) إلى بلادنا بمثل تلك الصورة ربما كان يحمل فى طياته خدعة لا ندريها هـدفها توريطنا فى القبض عليه بحيث لا نكتشف الحقيقة إلا بعد القبض على (القنـاص) بمثل تلك الصـورة ، فـلا تنس يا سيدى أننا لا نحمل أى دليل إدانة ضده بانه جـاء لاتجسس فى بلادنا ، وليست هناك تهمة محددة تنتظره لدينا ‥ وكل معاركنا ضده كانت خارج (إسرائيل) ، وليس من صالحنا ان نغامر بكشفها أمام الرأى العام بعد القبض عليه ‥ فقد انتهت جميعها بالفشـــل والهزيمة ‥ كما اننا كنا نتجاوز فيها الأوامر فى أغلب الأحيان و ···

قاطعه (عيزر) فى سخط :

ـ كفى ‥ كفى ‥ لقد فهمت ما تعنيه ‥ إنك على حق ‥ فسيكون شركاً قاتلاً لو أننا قبضنا على هذا الرجل ؛ ولعله يعرف ذلك جيداً مما دفعه لذلك العمل الجنونى فى المجىء إلى بلادنا ، وكشف نفسه علانية هكذا ·

واعتصر كفيه مضيفاً :

- ولكننى لا أستطيع ترك هذا الرجل يمرح فى بلادنا دون أن يسدد ما عليه من ديون ثقيلة لنا .. فلن يمنعنا شىء من الانتقام منه وتصفيته .. ومهما كانت القيود المفروضة علينا ، فلن أدعه يغادر هذه البلاد حياً .

والتفت إلى (هارئيل) فى توتر متساءلاً :

- ترى ما الذى دفع بهذا الرجل إلى بلادنا ؟

التمعت عينا (هارئيل) وهو يقول :

- إنه (باروخ) يا سيدى بكل تأكيد .

اتسعت عينا (عيزر) وغمغم :

- نعم .. كيف فاتنى ذلك .. لا شك أن (القناص) قد غامر بدخول بلادنا من أجل استعادة (باروخ) من أيدينا .. وهو عمل جنونى دون شك أن يغامر رجل وحيد مهما كانت مهارته بدخول أرضنا ليقتنص منا صيداً غالياً !

واستدار فى عنف مفاجىء نحو (هارئيل) مضيفاً فى تساؤل :

- هل تظن أن هناك من ينوى مساعدة (القناص) فى مهمته .. أعنى بعض العملاء المصريين المندسين

بين صفوفنا دون أن ندرى عنهم شيئاً ؟

هز (هارئيل) رأسه نافيا وهو يقول :

- لست أظن ذلك يا سيدى .. فالمعروف عن (القناص) أنه يعمل وحده !

صاح (عيزر) فى غضب :

- أيا ما كانت الحقيقة .. فإننى أرغب فى القبض على هذا الرجل قبل أن يبدأ فى أى عمل .. وأريد أن تكون عملية القبض على (القناص) قانونية مائة فى المائة ، وبتهمة لا تخرجه من السجن قبل عشرين عاماً على الأقل .. عندما يصير كهلاً عجوزاً .. وقبلها سنكون قد قمنا بتصفيته فى السجن ببطء .. وعذاب لا نهاية له .

تلاعبت نظرة ماكرة فى عينى (هارئيل) وهو يقول :

- إن لدىّ تهمة سترسله إلى حبل المشنقة ، وليس للسجن المؤبد فقط .. وهى جاهزة عندى يا سيدى .. وبفضلها ستطير رأس ذلك المصرى .. ومعها رأس أخرى .. لطالما سببت لنا الكثير من الإزعاج دون أن نمسك عليها ما يدينها ؛ وبذلك سيصيب الحجر فى

أيدينا عصفورين .. لا واحد ..

واطلق ضحكة عالية .. وحشية .. متلذذة .

* * *

اندفع عشرات من رجال الشرطة المسلحين ليطوقوا الفندق الكبير من كل جانب محتمين داخل سيارات مصفحة ، ودروع قاسية وكانهم يوشكون على خوض غمار حرب دامية .. وهرول عشرات آخرون شاهرين مدافعهم الرشاشة السريعة الطلقات لتطويق الطابق الحادى عشر وهم يصوبون فوهات مدافعهم إلى تلك الحجرة بالذات فى نهاية ممر الطابق .

وتقدم قائد الشرطة نحو باب الحجرة التى يقيم فيها (القناص) وطرقه فى عنف .. ومرت لحظات قصيرة قبل ان ينفتح الباب .. ويطل منه وجه (القناص) فى ملابس النوم ، وقد بدا كانه استيقظ لتوه من نوم عميق .. ونظرة بريئة تطل من عينيه . نظرة رجل كان يتوقع كل ما يجرى حوله .. وما كانت اعتى المفاجآت لتثير فيه الدهشة أبداً .

وتطلع (القناص) إلى فوهات المدافع الرشاشة المصوبة إليه ، والجنود المحتمين خلفها وهم يرمقونه

بنظرات عصبية متوترة ، وكأنهم يخشون أن يفاجئهم بسلاح قد يبيدهم عن آخرهم .

وبدا الأمر مسلياً (للقناص) ، فاكتسى وجهه بابتسامة ساخرة عريضة ، وهو يقول لقائد الشرطة :

- مرحى .. إننى أرى نصف شرطة تل أبيب على الأقل تحاصر حجرتى .. فهل تكبدتم كل هذا العناء من أجل الترحيب بى وتقديم خدمة سياحية خاصة لى ، فدعونى أخمن .. هل سيبدأ الجنود فى رقص الفالس أم السامبا .. أم سيبدأ الاحتفال باستعراض مهاراتهم فى القيام بتقليد نوم العازب أو السير على مؤخراتهم ؟

وتطلع إلى قائد الشرطة الذى اربد وجهه بشدة ، وقد فاجأته سخرية محدثه ، فهز (القناص) كتفيه مواصلاً :

- لحسن الحظ إننى سمعت الكثير عن ديموقراطية بلادكم وإلا لخشيت ان تكونوا قد جئتم للقبض علىّ دون تهمة .. ومن سوء الحظ أن حجرتى لا تتسع لأكثر من شخصين أو ثلاثة ، وإلا دعوت الجميع لشروب احتفالاً بعثورك أيها القائد على سيارتك

التى سرقها اللصوص قبل يومين واستولوا منها على صورة خاصة لك ولصديقتك ، قد تثير مشكلة مع زوجتك و ...

انتفض قائد الشرطة وتفصد العرق غزيراً فوق جبهته ، وغمغم فى ذهول (لمراد) :

ـ كيف علمت هذا الأمر .. إن أقل القليلين لا يعلمون عنه شيئاً .

أجابه بابتسامة ماكرة :

ـ لا تخشى شيئاً .. ساعتبر هذا الأمر سراً بيننا .. وأؤكد لك أنه ليس ضمن برنامجى السياحى زيارة زوجتك أو الثرثرة معها بخصوص تلك الصور و ..

قاطعه قائد الشرطة فى عنف وغضب قائلاً :

ـ صه أيها الشاب ، ولا تحاول التلاعب بنا ، فالتهمة ثابتة ومؤكدة عليك ولن تفلح فى الهرب منها .

مد (القناص) يده داخل جيوب بيجامته .. وفى نفس اللحظة امتدت أيدى عشرات الجنود إلى أزندة مدافعهم الرشاشة ، وقد بدوا على استعداد لاطلاقها فى التو ..

وصاح مدير الشرطة فى (مراد) وعيناه ترمشان فى توتر بالغ :

ـ لا تأتى بأى حركة .. ولا تحاول إخراج أى سلاح من جيوبك .

غمغم (القناص) فى دهشة مصطنعة قائلاً :

ـ سلاح .. إن كل ما كنت أبحث عنه هو منديلى ، فقد أصابتنى كلماتك يا سيدى بخوف قاتل تفصد له جبينى بالعرق ؛ ولهذا رأيتنى أبحث عن منديلى لتجفيف عرقى ، فإن لى قلباً ضعيفاً وقد نصحنى طبيبى بالتوقف عن شرب القهوة ، ومصادقة رجال الشرطة و ...

قاطعه قائلاً الشرطة فى عنف أشد صائحاً :

ـ توقف عن ذلك الحديث الذى يثير أعصابى .. وغمغم لنفسه وهو يجز على أسنانه فى غيظ حاد :

ـ من أى شىء قد صُنعت أعصاب هذا الرجل .. فكأنه جبل من الثلج ، وأراهن أنه لو واجه فرقة الإعدام قبل اطلاقها الرصاص عليه لسخر من أفرادها أيضاً .. وأشار إلى اثنين من رجال قائلاً :

ـ فتشاه .

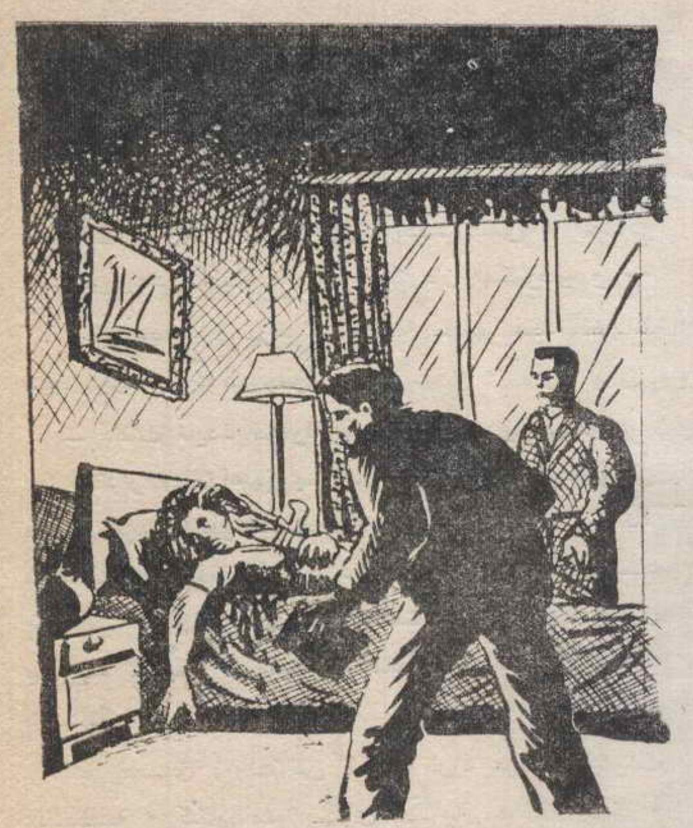
واندفع الضابطان إلى (القناص) لتفتيشه ؛ ولكن الوقت لم يتح لهما لتنفيذ تلك المهمة .. ولا (القناص) كذلك سمح لهما ، فقد امتدت يد (مراد) فى سرعة وقوة لتمسك برأسى الضابطين وتدقهما ببعضهما فى عنف بالغ ، فتهاوى الضابطان على الأرض دون حراك غائبين عن الوعى .. وقد بدا المشهد لفرط سرعته ، كمشهد فى فيلم سينمائى هزلى ، لم يتح لرجال الشرطة حتى التقاط أنفاسهم وهم يحدقون فى (القناص) فى ذهول مطبق .

ورفع (القناص) كفيه نحو قائد الشرطة قائلاً فى براءة :

ـ كان عليهما أن يقولا « من فضلك » أولاً ، فهذا هو السلوك الواجب اتباعه مع سائح مثلى حصل على جائزة السائح المثالى فى « كوالالمبور » !!

انتفض قائد الشرطة فى غضب مشتعل ، وصاح فى رجاله :

ـ فتشوا الحجرة وحاذروا أن يأتى هذا الرجل بحركة ما .



كانت هناك حسناء شقراء ممددة فوق فراش (القناص) غارقة فى دمائها .

أفسح (مراد) الطريق لرجال الشرطة ، وهو يقول فى سخرية أشد :

ـ إذا كنت قد جئت بحثاً عن شىء مثير فلن تجده فى حجرتى ، فإننى سائح مثالى كما أخبرتك من قبل ، ولدىّ شهادة بذلك كما أننى لا أغادر حجرتى بعد الثامنة مساءً خوفاً من اللصوص و ٠٠

وبتر عبارة (مراد) صيحة اطلقها أحد الضباط داخل الحجرة وهو يقول :

ـ هناك سيدة مقتولة فوق الفراش يا سيدى ٠

استدار (مراد) بسرعة ٠٠ ووقع بصره على فراشه حيث أشار الضابط ٠٠ كانت هناك حسناء شقراء ممتدة فوق فراشه غارقة فى دمائها ، وقد انغرست سكين فى قلبها جعلت عيناها تجحظان بطريقة مخيفة ، وقد بدا منظرها تجسيداً للرعب القاتل ٠

لم يصدق (القناص) ما تراه عيناه فى تلك اللحظة ٠ كان ما يجرى أمامه مفاجأة بحق ٠ مفاجأة قاسية لم يعمل لها حساباً ، فقبل دقيقة واحدة لم يكن لتلك الحسناء وجود فى حجرته ٠٠ ولم يكن

يعرف عنها شيئاً ٠ كان الأمر مؤامرة دون شك ، وقد نفذها رجال الموساد بطريقة ما لا سبيل لإنكار براعتها ٠

صاح قائد الشرطة فى رجاله :

ـ اقبضوا عليه ٠٠ إنه القاتل ٠

وفى الحال ٠٠ انقض عدد من الضباط ليضعوا القيود فى يدى (القناص) دون أن يحاول مقاومتهم ٠٠ وفى نفس اللحظة التمعت فلاشات كاميرات الصحفيين من الخلف ٠٠ وكأن شخصاً ما قد وجه لهم الدعوة من قبل للحصول على قصة مثيرة ٠٠ وكان من المؤكد أن جرائد الغد ستحمل أنباء مثيرة عن ذلك السائح المصرى ٠٠ قاتل الشقراء ٠٠ فى غرفته بالفندق ، وستحفل القصة بأسرار لا حد لها ٠ أسرار من صنع الموساد التى فازت بالجولة الأولى ٠٠ دون أدنى شك !

* * *

الفصل الثانى

الضربة المزدوجة

سلطت الأضواء القوية المبهرة للعيون إلى وجه (القناص) من مصباح واحد ، وقد جلس إلى مقعد فى مركز الشرطة ويداه مقيدتان بقيود حديدية خلف ظهر المقعد ، وقد أحاط به ما لا يقل عن عشرة ضباط شرطة من مختلف الرتب ، وقد وجهوا فوهات بنادقهم إلى (مراد) فى توتر وحذر تحسباً لأى مفاجأة ، وكأنهم على يقين من أنه قادر فى لحظة واحدة على تحطيم قيوده وشج رءوسهم وإرسالهم إلى الجحيم !

جزّ قائد الشرطة على أسنانه وصاح فى (مراد) :

ـ لن يفيدك الصمت بشىء .. من الأفضل لك أن تعترف أيها المصرى .. من تكون تلك الشقراء التى قتلتها فى حجرتك ، ومـا دافعك إلى قتلها ؟

لم ينطق (مراد) بشىء . كان عقله يعمل بسرعة جبارة فى تلك اللحظة لاستنتاج مـا حدث . لـم يكن من شك فى ان الموساد تقف خلف كل ما جرى لـه ، وان أيديهم هى التى اغتـالت تلك الشـقراء التى لا يدرى من تكون ، ومن وضعها فى فراشه أثنـاء حديثه مع رجال الشرطة أمام باب حجرته ؟

من المؤكد انهم استغلوا وجود باب جانبى للحجرة تمكنوا من التسلل منه داخلين .. ولـم يكن مـن شك أنهم قد أبلغوا الشرطة بحدوث جريمة قتل فى حجرته من قبل أن تتم الجريمة ، أو لعل المؤامرة يشترك فيها الشرطة والموساد معاً بحيث تلصق بـه تهمة تقوده إلى السجن المؤبد ، حيث لا يطبق حكم الإعدام فى إسرائيل إلا على الجواسيس فقط !

كان شركاً أُعـد بمهارة .. وكان أشد مـا يؤلم (القناص) فى تلك اللحظة أمر وحيد ، وهـو تلك

الشقراء المسكينة التى كانت ضحية رغبة الموساد فى الانتقام منه .. دون أى ذنب منها ؛ ولكن (مراد) كان واثقاً من شىء واحد .. فقـد تضاعفت ديـون الموساد له ، ولسوف يجبرهم على تسديدها جميعاً .

وتنبه (القناص) على صوت قائد الشرطة وهو يصرخ فى حدة :

ـ إذا لم تعترف بكل شىء أيها الشاب فأقسـم لأذيقك من العذاب ما يجعلك تحل عقدة لسانك و ..

وبتر قائد الشرطة عبارته عندمـا قاطعه صـوت هادىء عميق النبرات من الخلف يقول :

ـ لا داع لأن تجهد نفسك فى التحقيق أيها القائد ، فقد انتقلت القضية إلينا من هذه اللحظة .

كان صـوت هـارئيل شـاحال .. نـائب مدير الموساد .. ومدير وحدة العمليات الخاصة .. وكان (مراد) يحفظ نبراته بكل تأكيد .. وقد أدهشـه ظهور (هارئيل) بمثل تلك السرعة ، وفى الحال استرد روحه الساخرة قائلاً (لهارئيل) :

ـ مرحى .. لقد عرفت بمجيئك قبل أن أسمع

صوتك ، فقد بدأت أشم بعض الروائح النتنة .. ولم يكن من شك عندى فى صاحبها .. (هارئيل شاحال) .. أم أنك أعرت رائحتك القذرة لوغد آخر ؟

تبادل ضباط الشرطة النظرات وهم يكتمون ضحكاتهم بسخرية من (هارئيل) الذى طالما أفسد عملهم بتدخله المستمر فيه .

وتمالك (هارئيل) نفسه ، وأشعل سيجاراً وهو يقول (للقناص) :

ـ إن لك ذكاءً تحسد عليه ؛ ولكنه لن يفيدك بشىء أيها الرجل ، ولا تلك السخرية التى تتحدث بها ؛ بل إنهما قد يسببان لك الكثير من المتاعب .. فأنت فى بلادنا .. ووسط جيوشنا وقواتنا .

أجابه (مراد) فى سخرية أقسى :

ـ من سوء الحظ أن ذلك الضوء الباهر المسلط على عينى يمنعنى من التملى من ملامحك الوسيمة التى تذكرنى بوغد غبى صادفنى يوماً ما فأخذ يتباهى بقدرته وقوته ، ثم فاجأنى أنه مات بسبب عضة كلب !

ومط شفتيه مضيفاً :

ـ ولكن هذا لا يمنعنى من إظهار إعجابى ببراعتكم فى تلفيق التهم وارتكاب جرائم القتل دون أن تطرف لكم عين ؛ حتى لو كانت القتيل حسناء شقراء أوقعها سوء الحظ بين مخالبكم ؛ ولكن أخبرنى عزيزى هارئيل ، أليست جرائم القتل من اختصاص الشرطة فى بلادكم .. أم أنكم صرتم تعانون من كساد الأحوال هذه الأيام ، فصرتم تشغلوا أنفسكم بمزاحمة رجال الشرطة فى عملهم !! ولعل الموساد فى مقتبل الأيام تكتفى بتحرير المخالفات المرورية للسائقين ؟ !

اطلق هارئيل نفساً عميقاً من سيجارته ، وتجاهل سخرية (القناص) اللاذعة ، وقال :

ـ إنها ليست جريمة قتل عادية يا عزيزى ؛ ولهذا ترانا هنا .. ليس بسبب شخصية القاتل فقط ؛ بل أيضاً بسبب شخصية القتيل .. وصمت لحظة قبل أن يضيف فى تشف وإحساس عميق بالانتصار :

ـ إنها (اريكا بافلوفا) هل سمعت هذا الاسم من قبل أيها (القناص) .. أم أن معلومات العامة

أقل إبهاراً من قدرتك على السخرية ؟

زوى (' القناص) ما بين حاجبيه ·· ورن الاسم فى أذنيه عميقاً ·· (' اريكا بافلوفا) ·· أين سمع هذا الاسم من قبل ؟ وتذكر (القنـاص) ؛ ولكن هارئيل قطع حبل أفكاره قائلاً :

– إنها إحدى عميلات المخابرات الروسية ، أو لعلها أفضل وأشهر عميلات الروس ·· وهى مشهورة بكراهيتها لبلادنا ولطالما الحقت بنا الضرر ، وأفسدت مصالحنا فى روسيا ·· وقـد ثبت لنا أنهـا تسـللت وسط جموع المهاجرين إلينا من (روسيا) باسـم مزيف ، وكانت ترغب فى القيام بضربة مؤلمة عقاباً لنـا على اختطافنا (' باروخ كوهين) من روسيا ؛ ولكننا تمكننا من كشفها فى الوقت المناسب لأن الروس وإن كانوا يتظاهرون بصداقتنا الآن ، إلا أن الحقيقة إنهم يكرهوننا بشدة ·· ووجود مثل هذه العميلة فى حجرتك أيها (' القناص) حية أو قتيلة ·· لا يعنى إلا شيئاً واحداً ·· وهو إنها كانت تخطط معك لعملية انتقامية إرهابية !

وصمت لحظة ثم أضاف مفكراً :

– ما رأيك فى مشـاركتى اختيـار تلك العمليـة الانتقامية التى سننسبها لك ولأريكا ·· ويمكننا أن نقول إنكما كنتما تخططان لنسف مفاعل (' ديمونة) النووى مثلاً .

ومال على (القناص) بابتسامة تشع كراهيـة ولفحت أنفاسه وجه (' القناص) وهو يقول :

– إنها تهمة لا يمكن أن نتسامح معها يا عزيزى ، ففى حالة تنفيذكما لها كان الأمر كفيل بقتل نصف شعبنا ·· وهو ما يعنى أن قائمة جرائمك قد اتسعت ولن تأخذ بأى قاضى فى هـذه البلاد رحمـة بك ·· وأنت تعلم عقوبة التجسس لدينا .

زم (' مراد) شفتيه بقوة ، ولم ينطق بحرف .

تكشفت له خدعـة الموساد كـاملة ·· وما كـان ليستطيع غير أن يعترف لهم بالبراعة ·· البراعـة الكاملة فى تدبير الخدع والمؤامرات ؛ ولكن كـانت للقناص طرقه الخاصة أيضاً ·· ومـا كان ليستسلم حتى فى أشد اللحظات بعثاً لليأس .

هز (' مراد) كتفيه وهو يقول :

– لا يسعنى غير الاعتراف لكم بالبراعة فى حبك

المؤامرات ، فقد تخلصتم بضربة واحدة من تلك العميلة الروسية (اريكا) والصقتم بى تهمة قذرة ؛ ولكن المهم من يضحك أخيراً .. فالرياح لا تاتى دائماً بما تشتهيه السفن ..

قاطعه (هارئيل) فى غضب :

ـ دع عنك التظاهر باللامبالاة وتلك الثقة البالغة فهى لن تفيدك بشىء . واستدار إلى قائد الشرطة قائلاً :

ـ لقد انتقلت القضية إلينا .. ولم يعد للشرطة يد فيها .

تبادل ضباط الشرطة النظرات ، وأوما القائد برأسه فى صمت . كان هارئيل على حق .. فإذا ما تعلق الأمر بالموساد انسحب الآخرون على الفور ، وغادر رجال الشرطة الحجرة ، وحل محلهم على الفور دستة من رجال المهام الخاصة شاهرين أسلحتهم فى وجه (القناص) .

سحق (هارئيل) سيجاراً فى المنفضة أمامه وهو يقول :

ـ لقد التقطت الصحافة القصة كما رأيت فى

الفندق .. وغداً صباحاً ستخرج كل الجرائد بعناوين مثيرة عن الجاسوس المصرى القاتل ، الذى كان يخطط لعملية إرهابية فى بلادنا مع عميلة روسية ، وعندما اختلفا على الملايين التى سيتقاضانها ثمناً للعملية قام بقتلها . وهكذا لن يكون هناك مبرر واحد للشفقة عليك أو رحمة من الرأى العام .. حتى برغم السلام البارد .. بيننا وبينكم . أؤكد لك أن أحداً لن يستطيع أن يمد لك يد المساعدة فى بلادك .. ولا حتى رؤسائك فى المخابرات ؛ بل لعلهم سينكرون حتى معرفتهم بوجودك فى إسرائيل ، أو ربما حتى ينكرون انك تعمل معهم اصلاً . فانت هذه المرة متهم بتهمة شائنة ، ولن تجد من يرفع أصبعا للدفاع عنك .

ومال على (القناص) ، وأكمل فى صوت كالفحيح قائلاً :

ـ إنك فى مازق حقيقى هذه المرة يا عزيزى . وليس مثل تلك المازق التى اعتدت النجاة منها ككل مرة ، فقد خططت بنفسى جيداً لتلك الجريمة الكاملة لكى لا تفلت منها أبداً .. أبداً .

لم ينطق (مراد) بحرف . كان يرغب فى أن يدع ذلك الوغد الواقف أمامه يباهى ويثرثر بكل ما عنده ليلم بكل خيوط الشرك الذى انطبق عليه .

وخبط (هارئيل) قبضة يده اليمنى فى كف يده الأخرى صارخاً :

- الإعدام .. لن تنال سواه أيها (القناص) .. فتنهار تلك الأسطورة التى نسجتها عنك أجهزة المخابرات وأفاضت فى وصف براعتك ومهارتك ؛ ولكن كتب التاريخ ستذكر أن شخصاً آخر كان أبرع واستطاع الإيقاع بك ..

والتمعت عيناه بوميض حاد وهو يضيف :

إنه أنا .. (هارئيل شاحال) .. رئيس الموساد القادم .

ثم أطلق ضحكة عالية صاخبة ؛ ولكنه بتر ضحكته بغتة عندما فاجأه صوت هادىء من مدخل الباب يقول :

- لماذا لا نمنح عزيزنا (القناص) فرصة أخيرة للحياة ؟

استدار (هارئيل) ، وقد أخذته المفاجأة وطالعه

وجه (عيزر ايخمان) مدير الموساد بنظراته الباردة ، وعينيه الصغيرتين الماكرتين كعيون الثعالب .

لم ينطق (هارئيل) بشىء .. وجز على أسنانه غضباً . كان وجود (عيزر) يفسد الكثير من خططه بسبب تدخله فى اللحظة غير المناسبة ، وكم تمنى إزاحة ذلك الذئب من طريقه ؛ ليصير هو الرجل الأول فى الموساد ، الذى لا ترد كلمته أبداً .. وتساءل (هارئيل) فى توتر ، إن كان رئيسه قد سمع تلك العبارة الأخيرة التى نطق بها ؟

وتقدم (عيزر) من (القناص) ، وألقى عليه نظرة متفحصة وهو يقول :

- إن أسيرنا يبدو غير مُبال بكل ما يجرى حوله .. وكأنه فى نزهة ولا ينتظره حكماً بالإعدام .. ويبدو أنك لم تؤثر فيه بالقدر الكافى يا (هارئيل) .

لم ينطق مدير العمليات الخاصة .. وأجاب (القناص) بدلاً منه بسخريته المعهودة :

- إننى أعترف لك يا عزيزى (عيزر) بأن تأثير مساعدك لم يكن بالقدر الكاف مثلك ، فإن رائحة عطرك القاسية أقوى منه .. وهى توشك أن تخنق

أنفاسى ، فأرجو ألا تواصل الاقتراب منى أكثر من ذلك ، وإلا اتهمتكما الصحف بقتلى عمداً .. بالروائح السامة !

تبادل (عيزر) و (هارئيل) النظرات ، وقال الأخير فى غضب :

– إنه لا يستحق سوى الموت يا سيدى ليكف عن تلك السخرية .

ولكن (عيزر) ربت فوق كتفه مجيباً :

– لا تدع مشاعرك الحارة تفقدك الفرص المتاحة للفوز .. ولنحاول أن نعقد صفقة مع ضيفنا ، ونتجاهل مشاعره الباردة تجاهنا .

ومست أصابعه كتف (القناص) ، وهو يقول :

– ما رأيك يا عزيزى .. يمكننا تخفيف الحكم ضدك فيصير السجن فقط ، وربما تستعيدك بلادك يوماً ما فتبادلك باحد جواسيسنا فى سجونها ، فتعود مرة أخرى إلى بلادك .. بطلاً مقداماً .. بشرط واحد ..

وبتر (عيزر) عبارته ، وهو يحدق فى (القناص) بعينين ذئبيتين ، وقد أغمض (القناص) عينيه بقوة

ليمنع الضوء القوى المسلط عليه من إيذائهما .

وضغط (عيزر) على كتف (القناص) بقوة مواصلاً :

– إنك لم تسألنى عن الشرط الذى سيمنحك الحياة والحرية من جديد ؟

أجابه (القناص) ساخراً :

– لعلك ستشترط أن أمنحك تلك الجائزة التى حصلت عليها كأفضل سائح مثالى فى كوالالمبور .. ولكنك تبذل مجهوداً ضائعاً ، فإنها الجائزة الوحيدة التى حصلت عليها .. ولا يمكننى التفريط فيها بسهولة .

تلاعبت ابتسامة ماكرة على وجه (عيزر) وقال :

– إن لك روحاً مرحة يا عزيزى ؛ ولكن من سوء حظك أن الوقت لا يحتمل الضياع وإلا استمتعت بروحك المرحة ، فالوقت يمر بسرعة ولا يحتمل الضياع .

وضغط على كتف (القناص) فى عنف شديد بأصابع حادة قوية مواصلاً :

– إن فرصتك الوحيدة فى الحياة هى أن تخبرنا

بكل ما تعرفه عن رؤسائك فى المخابرات المصرية ..
مـا يفكرون أو يخططون لـه وعملياتهم السريـة ، وحياتهم الخاصة وكل ما يتعلق بهم وبجهاز المخابرات الذى ينتمون إليه .

ومال على (القناص) هاتفـاً بعينين متالقتين بشدة :

- ما رأيك ؟ إننى مستعد لتحقيق كل رغباتك إذا مـا تعاونت معنا فى هذا المجال :

مط (القناص) شفتيه قائلاً فى اهتمام :

- إن لى رغبة وحيدة يا سـيدى ، فهل يمكنك تحقيقها لى حقاً ؟

صاح (عيزر) فى لهفة :

- اؤكد لك أننى سأحققها لك مهما كانت .. فما هى ؟

أجابه (القناص) :

إن رغبتى هو أن تغير مـن ذلك العطر الـذى تتعطر به ، فلـه رائحـة نفـاذ ومثيرة للغثيـان ، ولا يتحملها حتى مـن استاصلوا أنوفهم بعمليـات جراحية ، وليس من عجب أن طلقت منك زوجاتك

الثلاث السابقات بسبب رائحة هذا العطر الذى يشبه رائحة جيفة كلب ميت !!

ارتجفت أطراف (عيزر) ، وتراقص اللهب فى عينيه ، وصاح فى صوت يقطر كراهية :

- إنك تهـزأ بى أيهـا الوغـد بعـد أن منحتك الفرصة الوحيدة للنجاة ، ولكنى سأجعلك تدفع الثمن غالياً .. وثق انك ستعترف بكل ما نرغب فيه تحت وطأة التعذيب الرهيب الذى سـننتزع بـه أطرافك واحداً بعد الآخـر .. وبعدها لن تصـلح لشىء .. وسيكون تنفيذ الإعدام فيك لحظتها راحة لن تنالها أبداً .

والتفت إلى ضابط العمليات الخاصة صارخاً :

- خذوه إلى مبنى الموساد .. وهناك سنعرف كيف نحل عقدة لسانه ، ونعلمه كيف يخاطب الآخرين بطريقة مهذبة .

اندفع عشرة من رجال العمليات الخاصة لينتزعوا (القناص) من مقعـده ، وقد ألصـقوا فوهـات مدافعهم الرشاشة فى جسـده ، فاطلق (هـارئيل) ضحكة ساخرة وهو يقول :

ـ لا تخشوا شيئاً ، فقد أصابه الضوء المبهر الذى تعرض لـه لساعات بالعمى الذى سيستمر يوماً أو اثنين ، وهو ليس سوبر مان ليقاتل عشرة رجـال مسلحين ، وهو مقيد ولا يرى ما حوله .

زمجر (عيزر) فى غضب ملتهب :

ـ لعله فى حاجة إلى درس قاس ؛ ليحسن الكلام فيما بعد .. ولسوف أترك لـه تذكاراً دائماً سيظل معه مـا بقى حياً الأيام المتبقية له على قيد الحياة .. والتقط سكيناً من حزام أحد الضباط حوله وأنفاسه تقطر كراهية ، واندفع ليغرسها فى عينى (القناص) العاجزتين عن الرؤية .

* * *

الفصل الثالث

الموت .. والعار

هوى (عيزر) بالسكين نحو عين (القناص) اليسرى فى حقد دون أن ترمش العين العاجزة عـن الرؤية ؛ ولكن وفى اللحظة المناسبة وقبل أن يمس نصل السكين العين المفتوحة عن آخرها ، امتدت يد (القناص) فى حركة مباغتة ، وقبضت على رسغ اليد الممسكة بالسكين فى عنف شديد ، وقبل أن ينطق (عيزر) الذى شلته المفاجأة ، طوّق (القناص) عنقه بيده الأخرى ، والتقط السكين من يد غريمه فألصقها بعنقه . كانت الحركة من المباغتة والسرعة

بحيث إنها تمت فيما يشبه غمضة عين .. وجمد (هارئيل) ورجاله مكانهم فى ذهول ، وهتف (القناص) ساخراً :

ـ هيا .. فليحاول أحدكم إظهار بطولته فيجبرنى على التخلص من رائحة هذا الوغد للأبد بدفنه فى مقبرة فخمة تليق بمكانته .

وفى اللحظة التالية .. امتدت أيدى ضباط الموساد إلى أسلحتهم وقد أعماهم الغضب ، فهتف (عيزر) فيهم جزعاً :

ـ ماذا ستفعلون أيها المجانين .. لا تحاولوا المقاومة وإلا نفذ هذا المصرى تهديده .

فتراخت أيدى الضباط عن أسلحتهم .. وغمغم (عيزر) وقد التمع العرق غزيراً فوق جبهته موجهاً حديثه (لمراد) :

ـ كيف فعلتها ؟ إنك أعمى تقريباً ولست بساحر لترانى وأنا أغمد سكينى فى عينك .

شدد (القناص) يده حول عنق (عيزر) قائلاً :

ـ من أخبرك أننى لا أرى أيها الوغد .. ألم يخبرك شخص ما عن تلك العدسات التى يضعها أى

إنسان فى عينيه ، فيمكنه الرؤية خلالها مهما كان سطوع الضوء حوله ، دون أذى لعينيه .

جز (عيزر) على أسنانه فى غضب .. وتضاعفت كراهيته (للقناص) أكثر ، وقد تمكن من خداعه بمثل تلك الصورة ، وسط عشرات من رجاله ؛ ولكن كان لا يزال لديه أمل أخير .. فقد كان لا يزال وسط رجاله .

وكأنما قرأ ضباط الموساد أفكاره ، وفى اللحظة التالية .. اندفع ستة منهم فى سرعة مباغتة فى لحظة واحدة لتطويق (القناص) من ثلاث جهات فى حركة لطالما تدربوا عليها من قبل مئات المرات . كان كل منهم مسلحاً بمدفع رشاش ، وكانت طلقة واحدة من أى منهم كفيلة بإنهاء تمرد (القناص) وإنهاء حياته ؛ ولكن .. ما كان رجل كالقناص يؤخذ بمثل تلك الطريقة ، فقد كانت له مفاجآته أيضاً .. ومن قبل أن يتنبه الضباط الستة .. طارت سكين (القناص) إلى هدف وحيد فى سقف الحجرة .. المصباح الضخم الذى كان ضوءه مسلطاً قبل لحظات نحو عينيه .

وأصابت السكين هدفها فى دقة لا مزيد عليها ..
وانفجر المصباح الكبير وساد بعدها ظلام دامس ..
مما أتاح للقناص ميزة ثانية .. فقد كانت عدساته
الخاصة .. لها القدرة على الرؤية الليلية .

وكانت المفاجأة صاعقة .. بحيث إن الضباط
الستة لم يستطيعوا التوقف فى اللحظة المناسبة
فاصطدم اثنان ببعضهما فى عنف ، ودوت طلقات
الرصاص من ضابطين آخرين أصابت رصاصات كلا
منهما الآخر .. أما الاثنان الباقيان .. فطارت
لكمات عنيفة حادة مثل طلقات المدافع لتهشم وجهيهما
وتسقط أسنانهما ، وصرخ (عيزر) فى صوت وحشى
وسط الظلام :

– لقد تحررت من ذلك الشيطان .. اقتلوه .
وانطلقت فى التو رصاصات عديدة ساد بعدها سكون
قاتل .. وضغط (هارئيل) على مفتاح النور
بجواره ، وعندما غمر الضوء الحجرة .. شهق
بقوة . كان رجاله جميعاً ممددين على الأرض ، وقد
أصابت رصاصاتهم بعضهم البعض .. والباقين قد
تهشمت فكوكهم أو أذرعتهم ورقدوا إلى جوار

زملائهم .. فى حين قبض (القناص) من جديد
على عنق (عيزر) ، وقد سدد إليه سكينه الذى
استعاده مرة أخرى !

وهز (القناص) كتفيه ساخراً وهو يقول :

– لم يكن لى فضل كثير فيما حدث ، فأنا عادة
لا أطلق الرصاص كالنساء فى الظلام ، وقد قام
رجالكم بالعمل كله .. ولم يكن لى من فضل فيه
سوى وضع كلمة النهاية !

وبرغم الموقف الدقيق غير مضمون النتائج ، فقد
تلاعبت ابتسامة ماكرة ساخرة فوق شفتى (هارئيل) .
كان قد توقع ما حدث بشكل ما .. وترك (عيزر)
ليقع فى ذلك الخطأ القاتل ، وقد تمنى أن يفقده
ذلك الخطأ حياته .. وأخفى (هارئيل) مشاعره
وصاح فى (القناص) متظاهراً بالتوتر وصاح فى
مكر :

– أرجوك لا تمس (عيزر) بأذى .. وسوف
نحقق لك كل ما ترغب فيه . هل تريد طائرة ترحل
فيها عائداً إلى بلادك ؟

أدار (القناص) وجهه تجاه (هـارئيل) ، وبدت عيناه خاليتين من أى مشـاعر وفكر للحظـة خاطفة قبل أن يجيب :

ـ نعم ٠٠ إننى فى حاجة إلى طائرة هليكوبتر خاصة أغادر بها هذه البلاد ٠

ارتعد (عيزر) صارخاً :

ـ لا تأتوه بما يريد ٠٠ إن هذا كفيل بأن يفقدنى منصبى ٠

أجابه (هارئيل) فى شماتة لا تُخفى :

ـ إن لم نحقق له ما يريد يا سيدى ، فقد تفقد حياتك ذاتها ٠

واستدار إلى رجاله الراقدين على الأرض صائحاً :

ـ أسرعوا بجلب طائرة هليكوبتر حربية خاصة ، فاندفع بعضهم إلى الخارج ٠٠ على حين ظل الباقون مكانهم غير قادرين على الحراك ٠٠ وشدد (القناص) ذراعه حول رقبة (عيزر) وهو يقول :

ـ هيا بنا إلى الخارج يا عزيزى ، فقد أوشكت رائحتك النفاذة أن تصيبنى بإغماءة طويلة ، أخشى ألا يفلح الأطباء فى إيقاظى منها !



وقبل أن تمر دقيقتان ، حلقت هليكوبتر حربية فوق المبنى ٠

وقاده (القناص) إلى سطح المبنى و (هارئيل) يتبعهما من الخلف وسط الظلام الذى أطبق على المكان ، وسعادة غامرة تتراقص فوق شفتيه وقد أخفى الظلام ملامحه . كان يفكر فى أن (القناص) سيحتفظ برئيسه رهينة لديه ليؤمن وصوله إلى القاهرة سالماً دون أن تحاول الطائرات الإسرائيلية اعتراضه ، أو نسف طائرته بسبب أهمية أسيره داخل الطائرة .. وهو ما دفعه لاقتراح استقدام هليكوبتر (للقناص) !

وقبل أن تمر دقيقتان حلقت هليكوبتر حربية فوق المبنى ، ثم هبطت فى ركن منه .. وصاح (عيزر) فى جزع للقناص :

– أرجوك دعنى ولا تحملنى معك .. وأقسم لك بشرفى ألا أمس طائرتك بسوء وسأدعك تعود بها إلى بلدك .

بان التفكير على وجه (القناص) ، وقطب حاجبيه قائلاً :

– إنها فكرة جيدة .. فلست أظن أنهم فى القاهرة قادرين على احتمال رائحتك مثلما احتملتها

كل هذا الوقت ؛ ولعلك تتسبب بذلك فى ركود حركة السياحة فى بلادى !

وترك (القناص) أسيره فى حركة مفاجئة ، وقفز إلى كابينة الهليكوبتر بحركة سريعة بارعة ، وصوب سلاحه إلى رأس قائدها قائلاً :

– هل تعرف الطريق إلى الحدود المصرية .. أم تفضل أن تصلها جثة هامدة ؟

لم ينطق الطيار بشىء ، وعكست عيناه جزعه وخوفه ، فارتفع بطائرته سريعاً ، واندفع (هارئيل) إلى (عيزر) مغمغماً فى ذهول :

– لقد تركك يا سيدى .. هذا المجنون .. كيف قام بذلك ؟

فاستدار (عيزر) نحوه بوجه قد تقلص من الغضب الحارق وصرخ فيه :

– وهل كنت ترغب فى أن يصطحبنى إلى بلاده ، لسوف يدفع هذا المصرى حياته ثمناً لتلك الغلطة ؛ ولكى لا يثق بعد ذلك فى قسم رجل من رجال الموساد !

والتقط جهاز لاسلكى من جيبه ، وصرخ فيه

وهو يتابع الهليكوبتر التى غابت فى السماء :
ـ اقتنصوا تلك الهليكوبتر .. لا تدعوها تغادر أرضنا . لا أريد أحياء .. انسفوها بمن فيها ..
وما كاد مدير الموساد يتم عبارته حتى انطلق صاروخان من مكان ما فى لحظة واحدة . نحو هدف وحيد . طائرة (القناص) .
وأصاب الصاروخان هدفهما فى نفس الثانية .. ودوى الانفجار الرهيب .. وتهاوت الطائرة أشلاء محترقة على الأرض .

* * *

وفى نفس اللحظة .. كان مشهد آخر يجرى فى مبنى المخابرات المصرية الكائن فى (سراى القبة) فقد هب مدير المخابرات المصرية واقفاً فى غضب ، وقد بدا أنه يبذل جهداً للتحكم فى مشاعره . كان نادراً ما يترك لنفسه العنان مثل تلك اللحظة التى بدا فيها كل شىء حوله خارجاً عن المألوف .. واستدار فى حدة نحو (فخرى سيف) قائلاً :
ـ أى جنون هذا الذى يفعله رجلك فى (تل أبيب) هل يظن نفسه (رامبو) وقد ذهب إلى هناك غازياً ، كاشفاً نفسه بمثل تلك الطريقة

دون أن يعبأ حتى باستخدام جواز السفر الذى أعددناه له ، أو التنكر لإخفاء شخصيته . الا يعلم اى مشاكل سياسية قد يسببها لنا بفعلته التى جرؤ عليها دون أن يخبرنا حتى بنواياه !
لقد تجاهل الخطة التى وضعناها له لإستعادة (باروخ) ، واندفع فى صراع علنى ومكشوف ضد الموساد .. وكأنه يخوض مغامرة سينمائية .. لا معركة مخابرات حقيقية أساسها الدهاء والخداع ، لا الاندفاع والتهور المجنون .

لزم (فخرى سيف) الصمت المطبق . لم يكن هناك ما يقوله ، وما كان لديه أى تبرير فيما يفعله (القناص) . كان قد بوغت أيضاً بما حدث ، وقد كشفت التقارير السرية القادمة من (تل أبيب) كل ما جرى ، وقبضت أصابع المدير على حافة مكتبه ، كأنها توشك أن تسحقها ، وغمغم فى توتر بالغ :
ـ وأسوأ ما فى الأمر تلك المؤامرة التى دبرتها الموساد (للقناص) ؛ لإظهاره كقاتل لتلك العميلة الروسية ، واتهامهم له بالتدبير لنسف مفاعلهم النووى فى (ديمونة) .. لقد حبكوا حطتهم هذه

المرة ويستحيل أن ينجو منها (القناص) .. إن حبل المشنقة فى انتظاره ، وسيسبق ذلك تلويث سمعته وكل بطولاته السابقة .. وسيظهرنا هذا الأمر وكأننا مجموعة من المرتزقة والإرهابيين ، لا أصحاب حق وقضية .

بلل (فخرى سيف) شفتيه الجافتين بلسانه ، وغمغم فى حيرة :

ـ ألا يمكن أن نفعل شيئاً لإنقاذه ؟

استدار مدير المخابرات المصرى فى عنف قائلاً :

ـ إننا لن نستطيع حتى التدخل فى الأمر .. ولن يمكننا الاعتراف بأننا أرسلنا (القناص) فى عملية خاصة إلى (تل أبيب) ، ولا نستطيع مبادلته بجاسوس آخر ، فأنت تعلم طبيعة العلاقات الهشة بيننا وأى خطأ قد تكون له نتائج لا نتوقعها ؛ ولهذا فنحن سنكون مضطرين للتظاهر بأننا لا نسمع ولا نرى شيئاً .

واغمض عينيه وهو يزفر بشدة ، وغمغم مضيفاً :

ـ لماذا فعل ما فعله . كيف غامر بمثل تلك الطريقة . لقد عهدت هذا الشاب مثالاً للاتزان

وتنفيذ الأوامر .. فكيف فعل ما فعله هذه المرة . هل أصيب بجنون وقتى .. أم أن غروره قد وصل إلى قمته فدفعه لارتكاب مثل تلك الحماقة التى قد تكلفه حياته ؟ !

ولكن (فخرى سيف) لم ينطق بشىء ، لقد كان غاضباً على (القناص) أيضاً ، وبنفس القدر .. وما كان يتخيل أنه سيتهور بتلك الطريقة ؛ ولكن خشيته عليه كانت أكبر وأقوى من غضبه . كان يتمنى لو أتيح له السفر بنفسه إلى (تل أبيب) ، ولو اضطر لقيادة عملية انتحارية لإنقاذ (القناص) ولو كلفه ذلك حياته .

اصدر جهاز الفاكس الصغير فوق المكتب أزيزاً متقطعاً ، مشيراً إلى وصول رسالة خاصة ، وامتدت إليه يد المدير فى لهفة ، وما إن وقع بصره على الكلمات المكتوبة فى الفاكس حتى ضاقت عيناه .. واستدار فى بطء إلى (فخرى سيف) دون أن ينطق بكلمة ، وقد بدا أن ما قرأه قبل لحظة كان تأثيره عليه أقوى من أى كلمات .

وتساءل (فخرى سيف) فى لهفة وتوتر :

ـ هل جاءت معلومات جديدة من (تل أبيب) بشأن (القناص) ؟

بدا أن مدير المخابرات المصرية يغالب ألمه .. وقال فى صوت حزين :

ـ لقد حاول (القناص) الهرب من (إسرائيل) فى طائرة هليكوبتر ؛ ولكن الصواريخ (الإسرائيلية) أسقطت الطائرة أشلاء محترقة .. والمؤكد أنه لن يكون هناك أحياء بين ركاب الطائرة .

اخفى (فخرى سيف) وجهه بين كفيه . كان وقع المفاجأة عليه صاعقاً .. وأزاح كفيه عن وجهه بعد قليل .. وقد تندت عيناه بالدموع .

لقد مات البطل .. وانتهت اسطورة القناص .

ولكن أسوأ ما فى الأمر أنه مات مجللاً بالعار .. وأثناء محاولة للهروب من أرض العدو .. وما أسوأها ميتة لبطل .. طالما أذل أعداءه وأذاقهم العار والهزيمة .

* * *

الفصل الرابع

شرك الموساد

اندفعت عشرات من سيارات الإطفاء والشرطة والموساد لتحاصر المكان . كانت شظايا الطائرة متناثرة على مسحة كبيرة ، والنيران لا تزال ممسكة بها ، وقد أخذ رجال الإطفاء يكافحون النيران ، وحلقت طائرة هليكوبتر فوق المكان تستكشف تفاصيله قبل أن تهبط سريعاً .. وقفز منها مدير الموساد ومساعده ، واندفع الاثنان نحو كابينة الهليكوبتر المحطمة .

كان الطيار بداخلها محترقاً مشوه الوجه فى النزع الأخير ، وكانت الكابينة تخلو من أى شخص آخر

بجانبه .. فهتف (عيزر) فى وحشية للطيار ! أين ذهب ذلك المصرى .. أين أشلاؤه فإننى لا أراها ؟ !

غمغم الطيار فى احتضار :

ـ إنه لم يكن بالطائرة عندما أصابها الصاروخان ، فقد التقط مظلة نجاة من حرارى ، وقفز بها قبل أن يصيب الصاروخان الطائرة بثوان قليلة .

اتسعت عينا (عيزر) عن آخرهما حتى بدتا كأنهما توشكا أن تخرجا من مقلتيهما . كانت المفاجأة قاسية ومزلزلة ، فقد تمكن غريمه من الهرب كعادته كل مرة ؛ بالرغم من كونه فى معقل الموساد .. وبين زبانية جحيمها !!

كانت المفاجأة قاسية حقاً (لعيزر) .. أقسى مفاجأة واجهها فى حياته ! وصرخ فى جنون : هذا مستحيل .. لقد قام هذا الشيطان بخداعنا وتمكن من النجاة ونحن الذين جئنا سعياً وراء أشلاءه .

غمغم (هارئيل) فى حقد :

ـ إن هذا يفسر عدم اصطحابه لك يا سيدى فى هروبه ، فقد كان ينوى عدم مغادرة (إسرائيل) ، وخدعنا بطلب تلك الطائرة وادعاءه برغبته فى

الهروب لبلاده فى الوقت الذى كان يخطط فيه للبقاء فى بلادنا مهما كان الثمن .. لتنفيذ مهمته التى جاء بسببها إلى بلادنا .

وصمت لحظة ثم أضاف فى صوت عميق :

ـ إنك محظوظ يا سيدى .. فلو كان قد أصر على اصطحابك فى رحلته ، فمن يدرى ما كان سيصبح عليه مصيرك !

لم يفطن (عيزر) للهجة الخاصة فى حديث (هارئيل) .. ومسح العرق الغزير الذى تجمع فوق جبهته ، وغمغم فى كراهية :

ـ ماذا سأقول لرئيس الوزراء الآن .. هل سأخبره أن ذلك الشيطان المصرى قد تمكن من خداعنا بمثل تلك الطريقة ، وعلى أرضنا ووسط قواتنا ورجالنا . إن مثل هذا الأمر كفيل بالإطاحة برأسى ، بل برءوسنا جميعاً .

كان (عيزر) على حق .. وادرك (هارئيل) ذلك على الفور ، فقد كان سقوط رئيسه يتبعه سقوطه أيضاً فالاثنان يشتركان فى العمل ذاته ..

وكان عليه نسيان رغباته الشخصية فى تلك اللحظة ، فتعقد حاجباه وهو يقول :

ـ إن ذلك الرجل لن يستطيع الهرب بعيداً على أى حال .

ارتجف (عيزر) فى غضب قائلاً :

ـ وهل تظن أننا قادرون على العثور عليه بمثل تلك السرعة التى تظنها . إن لبلاده عملاء كثيرون لا ندرى عنهم شيئاً .. أمثال (رأفت الهجان) لانكشفت حقيقتهم إلا بعد وفاتهم .. ويمكنه أن يلجأ لأحدهم فيتولى إخفاءه ، أو حتى تهريبه من البلاد .

هز (هارئيل) رأسه قائلاً :

ـ لا ياسيدى .. إننى أوافقك فى أن لمصر عملاء كثيرون لا ندرى عنهم شيئاً فى بلادنا ، وقد يلجأ إليهم (القناص) ؛ ولكن مالا أوافقك عليه هو أنه قد يفكر فى الهرب من (إسرائيل) مهما كان حصارنا وبحثنا عنه .. فهذا الطراز من الرجال أعرفه جيداً ، وهو لن يغادر بلادنا قبل تحقيق ما جاء بسببه أو الموت دونه .

غمغم (عيزر) فى أمل :

ـ أتعنى أنه قد يحاول أن ..

قاطعه (هارئيل) وكأنه يخشى أن يسمعهما شخص ما :

ـ نعم يا سيدى .. وسننتهز تلك الفرصة لنجهز لصاحبنا شركاً أخيراً .. سيستحيل عليه الفرار منه هذه المرة ؛ ولو كانت له أجنحة للطيران وقدرة شيطان على الهرب والتخفى .

واستدار إلى مساعديه (يوسى أهارون) و (إيليا يائيل) وأخذ يشرح لهما خطته فى هدوء .. وقد وقفت ذئبة الموساد (ايفا شاحال) على البعد تنظر وتستمع لكل ما يدور حولها ، وقد تيقظت غرزتها الوحشية ..

غريزة سفك الدماء .

* * *

يقع مبنى (الموساد) فى شارع الملك (سول) فى أطراف (تل أبيب) .. وتحيطه على البعد بعض التلال العالية التى تشكل بانوراما بديعة يمكن رؤيتها بالعين المجردة من الطوابق العليا للمبنى .. خاصة

من نافذة مدير الموساد فى الطابق الثانى عشر قبل الأخير .

وأقل القليلون يعرفون أن ذلك المبنى يخص الموساد .. برغم واجهات المحلات التجارية فى الطابق الأرضى .. والعملاء الذين يدخلون لشراء حاجاتهم ويخرجون دون أن يدروا عن حقيقة المبنى شيئاً .

ولكن .. كان ثمة مدخل آخر خفى بالغ السرية لا يعرفه إلا مَنْ يقيمون فى المبنى ويديرون شئونه .. ويحرسه ضباط على أعلى درجة من السرية والكفاءة ، بحيث يستحيل دخوله أو اقتحامه بأى شكل من الأشكال ، أو تجاوز الأبواب المصفحة التى لا تُفتح إلا الكترونياً باستخدام بطاقة الكترونية يحملها كل من يعمل فى المبنى .. بالإضافة إلى بصمة يده ، ونبرات صوته .. وبالثلاثة مجتمعين تنفتح الأبواب اتوماتيكياً ، وبدونها يستحيل دخول المكان .

كان المبنى محصناً تحصيناً تاماً .. بحيث يستحيل على أذكى العقول اقتحامه ، أو التسلل إليه .. وكان (القناص) يعرف كل ذلك عن مبنى الموساد وأكثر منه .. ولكن .. ما كانت الأبواب

المصفحة لتعجزه عن دخول المكان وصولاً لهدفه ، لقد غامر بدخول (إسرائيل) لاقتحام (قلعة الرعب) تلك .. التى تجرى فيها أكثر الخطط قذارة فى العالم كله .. وتدبير الاغتيالات والمكائد .. وتجرى فى سراديبها عمليات التعذيب الوحشية .. للأعداء أو لتعساء الحظ من العملاء الذين يسقطون بين مخالب الموساد ، فينتهى مصيرهم بجمع أشلاءهم ودفنها فى قبو أسفل المكان ، أو إلقاء الجثة فى محلول الكبريتيك فى أحواض خاصة داخل المبنى ذاته .. حيث لا يتبقى منها أى بقايا بعد ذلك يمكن أن تُتخذ دليل ما .

وقد كانت مهمة (القناص) تلك الليلة هى اقتحام (قلعة الرعب) تلك مهما كلفه الأمر من مشقة ، وخلال الساعات القليلة التى تبعت قفزه من الهليكوبتر قبل انفجارها .. شرع فى العمل الفورى .. ومن خلال أحد العملاء المصريين فى (تل أبيب) استطاع الحصول على ما يرغب فيه .. طائرة خفاشية سوداء اللون مصنوعة من القماش

الخفيف .. حملها بسيارة خاصة إلى أحد التـلال المحيطة بمبنى الموساد .

كان يعرف أن الحراسة شديدة حول المبنى .. بحيث يستحيل اقتحامه له .. ولكنـه كـان ينوى دخول المبنى من أعلى لا من أسفل ! برغم أن سطح المبنى مؤمن الكترونياً لرصد أى طائرة تقترب مـن المكان بالتقاطها على شاشة الردار أو بالتقاط أصوات محركاتها ؛ ولكنه لم يكن مهيئاً لرصد طـائر كبير بحجم طـائرة خفاشـية .. بلا محركـات يمكن أن تفصح عنها ، أو بـدن معدنى يكشفها فـوق شاشـة الرادار .

فما كان من شيدوا المبنى وحراسه يتخيلون أن يأتى الخطر من قلب السماء .. بتلك الطريقة !

كانت الرياح مواتية لعمل الليلة .. وكأنها تبارك مهمة (القناص) .. وفى دقائق بلغ (القناص) قمة التل وهو يحمل الطائرة الخفاشية .

كان فى قمة لياقته ، وقد تجدد نشاطه وحيويته وأحس أنه قريب من هدفه ؛ ولكن كان عليه العمل

بسرعة ، فقد كان المتبقى له ساعة واحدة قبل أن يشرق ضوء الفجر .

وبقفزة بارعة .. حملته الرياح الدافئة عالياً .. وتبدت تحت الأرض والمبانى والطرقات غارقة فى الظلام إلا من أضواء خفيفة لأعمدة الإنارة ، وقد اخفته صفحة السـماء السوداء عن العيـون .

وقاد (القناص) طائرته الخفيفة مقترباً من مبنى الموساد فى سرعة وبراعة .

ولمح (مراد) كاميرا تليفزيونية فى ركن المبنى لتصوير الليلى كان يعرف مكانها مسبقاً ، فتحاشى المزور أمامها .. ودار نصف دورة كاملة مقترباً من حافة المبنى بعيداً عن عدسـة الكاميرا ، ثـم هبط فوق الأفريز وتشبث بـه .

كان الهبوط جيداً برغم خطورته .. وفى خفة طوى (القناص) الطائرة الخفاشية ، فقد كان فى حاجة إليها فى رحلـة العودة ، وأخرج مـن جيب بذلته المطاطية السوداء التى يرتديها خطافاً قوياً ينتهى بحبل فولاذى ، فقـام بتثبيت الخطـاف فى أفريز المبنى ، ثم شرع فى الهبوط عـلى واجهتـه

مستخدماً الحبل الفولاذى فى خفة ومهارة ٠

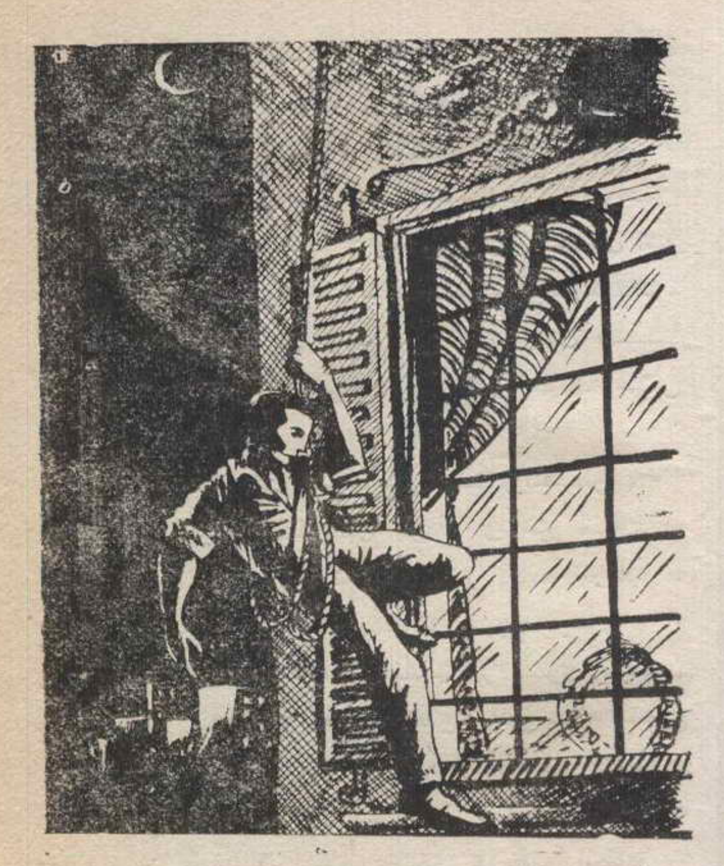
وتوقف أمام نافـذة خاصة فى الطابق الثانى عشر ٠ نافذة مكتب مدير الموساد (عيزر ايخمان) !

كان الزجاج مغلقاً كعادته صيفاً وشتاء ٠٠ ولمح (القناص) جهاز الإنـذار الصـغير مثبت فى ركن النافذة من الداخل ، والذى يعمل الكترونياً عنـد أى محاولة لفتح أو تحطيم زجاج النافذة ٠٠ والذى طالما تدرب (مراد) على إبطال عمله !

واخرج (القناص) من جيبه جهـازاً الكترونياً صغيراً ثبته لنصف دقيقة أمام جهاز الإنذار الالكترونى ، ثم أعاده إلى جيبه فى هدوء بعد أن أدى مهمته على خير وجه ٠

كان الجهاز الصغير مخصصاً للتشويش على أجهزة الإنذار وإفساد دوائرهـا الالكترونية لتعطيلها عـن العمل ، ٠ وفى هدوء شرع فى فتح النافذة بآلة حادة صغيرة ٠

وفى ثـوان قليلـة انفتحت النافـذة ٠٠ وقفـز (القناص) إلى داخل المكتب ٠٠ وبنظرة سريعـة انعكست فوق مقلتيه كل محتويات الحجرة ، التى



شرع (القناص) فى الهبوط أمام واجهة مبنى الموساد مستخدماً الحبل الفولاذى فى خفة ومهارة ٠

كان عشرات بل ومئات من أعظم رجال المخابرات فى العالم يتمنون دخولها واكتشاف ما تحتويه من ملفات وأسرار . كانت ثمة ملفات فوق المكتب .. تحتوى بعضها على ثروة من المعلومات .. وكان بقاؤها فوق المكتب خطأ لا يغتفر ، حتى داخل أشد مبانى العالم تحصيناً ، وكانت ثمة خزينة ظاهرة فى الركن .. تحتوى أيضاً على الكثير من الخطط والمعلومات ، وما كان ليستعصى فتحها على (القناص) كذلك .

ولكن لم تكن تلك الأشياء هى هدف (القناص) .. وما كان لديه متسع من الوقت فى غير ما جاء لاستعادته . كانت زيارته الليلية (لقلعة الرعب) لهدف وحيد .. وهو استعادة (باروخ كوهين) .

وكانت للمعلومات التى منحها (فخرى سيف) (للقناص) أهمية بالغة فى وصوله إلى هدفه بأسرع ما يمكنه ، فبواسطتها صار يعرف مبنى الموساد حجرة حجرة .. وكان يعرف فى تلك اللحظة أنه قريب من هدفه فى المكتب الأخير فى نفس الطابق . فى حجرة أشبه بالزنزانة .. حيث يخضع (باروخ)

لتحقيق مكثف ، وعذاب لا طاقة لإنسان به للاعتراف بأسباب لجوءه للسفارة المصرية فى اليونان ، وقدر ما أدلى به من معلومات للجانب الآخر قبل أن يتم إعدامه ، ودفن جثته أو ما تبقى منها فى ذلك القبو .. أسفل (قلعة الرعب) .

فتح (القناص) باب المكتب فى هدوء تام ، وأطل للخارج فى حذر . كان ثمة ممر طويل تنيره إضاءة خفيفة .. تماماً كما شاهد ذلك فى الفيلم الذى حرص (فخرى سيف) على اطلاعه عليه قبل بدء مهمته .. تحاشياً لأى مفاجآت غير متوقعة .

كان (القناص) واثقاً من عدم وجود أى نوع من الحراسة داخل طرقات المبنى اعتماداً على تحصينه الخارجى ، فخطى بسرعة إلى نهاية الممر .. وتوقف أمام الحجرة الأخيرة .. كان بابها مصفحاً من الصلب ويشبه باب زنزانة .. ولكن (القناص) كان مستعداً لاقتحامها أيضاً ، فأخرج من جيبه قنينة صغيرة سكب بعضها فوق قفل الباب الفولاذى .. وفى الحال بدأ السائل يفعل فعله ويذيب الصلب حول قفل الباب .

انفتح الباب بدفعة من قدم (القناص) .. وانكشفت محتويات الحجرة على ضوء الممر الأمامى ، ووقع بصر (القناص) على الهدف الذى جاء سعياً إليه .. (باروخ كوهين) .

كان عالم الذرة الروسى منكمشاً على نفسه فى ركن الحجرة ، وكل جزء فى بدنه يرتجف .. وظهرت ملامح (باروخ) مليئة بالجروح والندوب من آثار التعذيب الوحشى الذى تعرض له .. وما أن رأى (باروخ) (القناص) فى مدخل الحجرة ، حتى زاد انكماشه وهلعه وهو يظنه أحد زبانية الموساد ، وهتف فى صوت متحشرج مقتول بالألم :

ـ لا تعذبونى أكثر من ذلك .. لقد اعترفت لكم بكل شىء ونلت من التعذيب ما يكفينى ، لقد صرت أرغب فى الموت واشتهيه .. فلماذا تبقون على حياتى .. لماذا لا تقومون بإعدامى لاستريح من تلك الآلام الرهيبة التى لم أعد أحتمل المزيد منها ؟

اقترب (القناص) من (باروخ) ، وانحنى نحوه قائلاً :

لا تخشى شيئاً .. لقد انتهت الأوقات الصعبة . إننى قادم من (القاهرة) خصيصاً لانقاذك .. ولسوف نغادر هذا المكان حالاً ، وقبل أن تشرق شمس الصباح سنكون قد عبرنا الحدود المصرية .. وصرت بين أيدى أمينة .

ولكن صوتاً جاء من الخلف يقول فى سخرية لاذعة :

ـ أتظن ذلك حقاً أيها المصرى ؟

استدار (القناص) وقد باغتته المفاجأة .. ومن خلال الضوء الشاحب .. استطاع تمييز وجه محدثه الذى اكتسى بكراهية عميقة لا مثيل لها . كان (هارئيل شاحال) مساعد مدير الموساد واقفاً فى مدخل الحجرة ، وخلفه مساعداه ، وما لا يقل عن عشرين من ضباط الموساد .. وقد أشهروا مدافعهم الرشاشة فى وجه (القناص) وبدوا على استعداد لاستعمال أسلحتهم عند أقل بادرة حركة منه .

وأحس (القناص) بالشرك الذى أعدته له الموساد وسقط فيه بسهولة .. لقد كانوا ينتظرون وصوله .. وتركوه يدخل المكان دون مقاومة .. والمؤكد أنهم ما كانوا ليسمحوا له بالهرب تلك المرة ،

فلم يكن رجال الموساد بالذين يكررون نفس الخطأ .. مرتين متتاليتين !

وكان غريباً جداً .. تلك الابتسامة الساخرة إلى أقصى حد .. التى ارتسمت فوق شفتى (باروخ كوهين) ، فلم تكن ابتسامة رجل قد نال وطأة كل ذلك العذاب ..

وكان ذلك هو أعجب ما فى الأمر كله !!

* * *

الخدعة الكبرى

رفع (عيزر ايخمان) كأسه وتبادل الأنخاب مع رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى تجرع ما فى كأسه مرة واحدة ، والتمعت عيناه فى ابتهاج وهو يقول لمدير الموساد :

– لقد قمت بعمل رائع .. فإن القبض على هذا الجاسوس المصرى ضربة مدهشة .. ستمنحنا ورقة رابحة وستجعلنا نجنى الكثير من الأرباح .

غمغم (عيزر) دهاء :

– إننى أدرك ذلك يا سيدى .. وهو ما جعلنى

الجأ إليك مباشرة عند سقوط ذلك العميل المصرى لأخبرك بالأمر ٠

غمغم رئيس الوزراء فى دهشة :

ـ ولكنى لا أدرى سر إرسال المصرين لهذا الرجل لبلادنا ؛ للقيام بعمليات خاصة فى مثل هذا الوقت بالذات ٠٠ إنهم بذلك يغامرون مغامرة غير محسوبة ٠٠ وتلك ليست عادتهم ، كما أنها المرة الأولى التى تعمل مخابراتهم فيها بالتنسيق مع (روسيا) ٠٠

تظاهر (عيزر) بصب كأس آخر له ، وقال مراوغاً :

ـ من يدرى ما الذى يفكر فيه المصريون يا سيدى ؟ إنهم لا أمان لهم ، فقد فاجأونا بحرب أكتوبر فى الوقت الذى ظننا أنه لن تقوم لهم بعدها قائمة ٠

بدا شىء من عدم الاقتناع على وجه رئيس الوزراء ، ونهض قائلاً :

إننى انتظر منك كافة المعلومات عن ذلك الجاسوس المصرى الملقب بـ (القناص) فمثل هذا الأمر لا يجب أن يمر بسهولة ، وسوف نطلب تفسيراً دبلوماسياً من الخارجية المصرية بشأنه ٠

ادرك (عيزر) أن المقابلة قد انتهت ٠٠ فنهض بدوره وصافح رئيس الوزراء وغادر المكان ، وانعشه الهواء البارد فى الصباح الباكر بالخارج ٠٠ وابتسم (عيزر) ابتسامة ساخرة عريضة وهو يقود سيارته الفارهة ٠٠ اثبتت خطته حتى تلك اللحظة نجاحاً مدهشاً يوشك أن يجنى ثماره ٠٠ فحتى رئيس الوزراء ما كان يدرى شيئاً عن اسرار تلك العملية التى خطط لها ببراعة مدهشة ٠٠ ولوقت طويل ٠٠ وقبل أن تمر أيام قلائل سيصير اسم (عيزر ايخمان) على كل لسان باعتباره البطل الأسطورى الذى يحمى الأمن القومى لبلاده ؛ مما يشجعه على أن يرشح نفسه يوماً ما رئيساً للوزراء ٠

واطلق عيزر ضحكة عالية ٠٠ ثملة ٠٠

كانت كل أسرار العملية التى اطلق عليها اسم عملية (باروخ) فى قبضته وحده ، وحتى (هارئيل شاحال) ما كان يعرف كل تفاصيلها ٠٠ ورئيس الوزراء قد انخدع أيضاً بتلك الرواية الملفقة عن علاقة (القناص) بالجاسوسة الروسية وقتله لها ٠

وأوقف سيارته أمام مبنى الموساد ٠٠ واجتاز

الحواجز الأمنية متجهاً إلى حجرة التحقيق المصفحة ..

كان (القناص) جالساً إلى مقعد من الصلب ، ومقيد اليدين من الخلف بقفل الكترونى يستحيل فتحه إلا بمفتاح خاص لا يملكه سوى ضباط الموساد .. وقد أحاط به عدد من ضباط العمليات الخاصة .. يتقدمهم (هارئيل) الذى راح يصرخ فى (القناص) بغضب وحشى :

- لن يفيدك الصمت أبداً .. هيا اعترف بكل شىء أيها الشيطان وإلا قتلتك بيدى .

وفى حركة سريعة أطفأ سيجارته المشتعلة فى كتف (القناص) .. الذى لم تفصح عيناه عن أى إحساس بالألم ، وغمغم قائلاً (لهارئيل) :

- لسوف تدفع الثمن غالياً .. وأقسم على ذلك .

اطلق (هارئيل) ضحكة ساخرة عالية قائلاً :

- وكيف ستجعلنى أدفع الثمن أيها المصرى ؟ هل أبلغك شخص ما أن قوة انتحارية قادمة من بلادك لإنقاذك وعقاب أعدائك ؟

والتمعت عيناه بوميض قاس ، وهو يستطرد :

- اؤكد لك أن ما تحلم به لن يحدث أبداً ..

لن تجرؤ بلادك حتى على المطالبة بتسليم جثتك إليها بعد إعدامك .

تقدم (عيزر ايخمان) من الخلف قائلاً :

- مهلاً يا عزيزى (هارئيل) .. لماذا تعامل ضيفنا بمثل تلك القسوة ؟ وتقدم نحو (القناص) وحدجه بنظرة قصيرة ماكرة ، ثم أضاف :

- لقد سقط صديقنا المصرى فى الشباك ، ولم يعد له حول ولا قوة .. فلماذا لا ندهشه بكشف أسرار لعبتنا ؟ فنحن على ثقة أنه لن يثرثر بالحقيقة لأى إنسان ؛ لأننا سنقنعه بفضيلة الصمت .. فالموتى لا يكشفون ما لديهم من أسرار !

وأطلق ضحكة عالية صاخبة .

ضاقت عينا (هارئيل) ، وغمغم فى لهجة شيطانية :

- سيكون ذلك شيئاً رائعاً .. أن أرى نجاح الموساد ماثلاً أمام عينى بعد كل تلك الهزائم فى مواجهة ذلك الشيطان المصرى .

ربت (عيزر) على كتف مساعده قائلاً :

- إن الفضل يعود لك يا عزيزى .. فعقلك المتقد

هو الذى دبر الأمر كله ·· وأوقع بهذا السيطان المصرى عندما توقعت مكان ضربته التالية ·· والآن فلنكشف بعض أوراقنا لذلك المصرى ·

وأشار بيده لأحد الضباط فى الحجرة فغادرها للحظات ، ثم عاد وخلفه شخص آخر ·· (باروخ كوهين) ·

ولكن ·· كان مشهد عالم الذرة الروسى مختلفاً تلك المرة ·· فقد كان فى كامل ملابسه الأنيقة وهو يدخن البايب ، وابتسامة عريضة تتلاعب فوق شفتيه · ولم يكن هناك ثمة آثار لتعذيب فوق وجهه أو ذراعيه ؛ بل كان فى تمام الصحة والعافية والسرور !

وفرك (عيزر) كفيه مبتهجاً ، وهو يقول (للقناص) :

– ما رأيك فيما تراه الآن ؟ لعلك تظن أننا أرسلنا (باروخ) إلى ساحر فاخفى جراحه وآثار التعذيب بطريقة خاصة ·· وجعله يبتسم تلك الابتسامة الرائعة التى تدل على سعادته البالغة ·

ضاقت عينا (القناص) إلى آخرهما ·· وغمغم قائلاً :

– لقد كان لجوءه إلينا منذ البداية خدعة ماكرة ·· أليس كذلك ؟

مال (هارئيل) نحوه ، وأجابه فى سخرية حادة لاذعة :

– يعجبنى ذكاءك أيها المصرى ·· ووضع (عيزر) ذراعه فوق كتف (باروخ) قائلاً :

– كما ترى يا عزيزى (مراد) ·· فإن (باروخ) يبدو متمتعاً بإقامته بيننا ·· ولا تراوده أى رغبة فى هجرة بلادنا ، أو انتظار معونتك أيها المصرى ·· ولست فى حاجة لأن أخبرك أن مجهودك فى هذا الشأن قد ضاع هباءً ·· وأن مهمتك كان محكوماً عليها بالفشل منذ البداية ، وأنك توشك أن تدفع حياتك ثمناً لبراعة عزيزنا (باروخ) فى التمثيل ، وقبوله الاشتراك فى تلك الخدعة والمخاطرة بحياته ·

غمغم (باروخ) فى حقد وكراهية عميقتين :

– لقد كنت مستعداً لأن أفعل أى شىء لخداع

المصريين .. فلم أنسى أبداً أنهم قتلوا الآلاف من جنودنا فى حرب (٧٣) .. وأنهم قتلوا أبى الذى كان ضابطاً فى حرب (٦٧) .

اختلجت عينا (القناص) فى لحظة خاطفة .. وبدت له الحقيقة واضحة مثل سطوع الشمس .. كان الأمر كله خدعة منذ البداية .. خدعة دبرها ثعالب الموساد فى براعة لا سبيل لانكارها .. وغمغم (القناص) :

ـ لقد كان لجوء (باروخ) إلينا خدعة منذ البداية لهدف ما .. وكان تظاهركم باختطافه من تلك السفينة تمثيلية محبوكة ذهب ضحيتها بعض الأبرياء فوق السفينة . ممن لا علاقة لهم بالأمر كله .

اطلق (عيزر) ضحكة عالية تردد صداها فى المكان . كان يبدو مستمتعاً باللعبة إلى اقصى حد .. وبتر ضحكته فجاة قائلاً بصوت يفيض كراهية :

ـ إنه ليس يومكم أيها المصريين .. فقد تعاملتم مع الأمر بسذاجة شديدة وحاولتم إنقاذ (باروخ) بشهامة بلهاء .. ولم تفطنوا لحقيقة الأمر وأنه يستحيل أن يلجأ لكم شخص مثل (باروخ) الذى

غامر بحياته للهجرة إلى بلادنا .. وأنه من المستحيل أيضاً هروبه من رقابة الموساد .. وكذلك لم تفطنوا إلى مغزى الصدفة فى عثور ذلك الثعلب (أحمد الزيادى) على تلك الجثة فى المشرحة اليونانية ، وتشبه (باروخ) فى كل تفاصيلها الجثمانية ، فقد كنا نحن من تعهد توريدها إلى المستشفى ؛ لكى يعثر عليها (الزيادى) فتكتمل خطته فى خداعنا وإقناعنا بموت (باروخ) غرقاً ، لقد منحناكم سنارة تصطادونا بها ، ثم ألقينا عليكم الشباك لنصطادكم !

واطلق (عيزر) ضحكة مرة أخرى .. والتمعت عيناه بشدة وهو يقول :

ـ ولكن .. كان عليكم أن تفطنوا إلى أننا لن نقبل جثة لا تضاهى بصمات أسنانها نفس البصمات المحفوظة لدينا (لباروخ) ، فهذا هو الشىء الذى لا يمكن تزييفه أبداً .. وحتى ذلك الأحمق ـ وزير الدفاع ـ الذى راح يلومنى على غفلتنا لإهمالنا هذه النقطة فى التعرف على حقيقة جثة باروخ .. لم يدرك أبداً أننى من خطط للعمل كله .. وأن هروب (باروخ) كان بتدبير ومساعدة من رجالى له من

أجل خداعكم أيها المصريين بهدف واحد .. يساوى آلاف الملايين .. وحتى رئيس الوزراء نفســـه .. لا يدرى عن تلك العملية إلا قشورها .

فما كنت لأخاطر بكشف تفاصيلها له ، وإلا غامرت برفضه لها خشية من فشلها بسبب خوفه من انهيار السلام مع (مصر) فى حالة كشفها .. ولكن الخطة لم تفشل ؛ بل نجحت نجاحاً باهراً .. وحققت الغرض منها ، ولسوف أنال وساماً عندما تنكشف كل الحقائق فى الوقت المناسب .. وسيشكرنى حتى رئيس الوزراء شخصيا .

وفى صوت كالفحيح أضاف :

– ترى هل يساعدك ذكاؤك على ادراك هذا الهدف أيها المصرى ؟ والذى خططنا لأجله كل تلك الخطط وأنفقنا بسببه كل ذلك المال والجهد !

ضاقت عينا (القناص) فى غضب قائلاً :

– دعنى أخمن أيها الوغد .. إنها نفس خطة (فانوفوا) .

انفرجت أسارير (عيزر) وهو يقول :

– إنك تثبت لى كل مرة أن لك ذكاء حاداً أيها المصرى .

واصل (القناص) قائلاً :

– كان الهدف من العملية كلها هو أن يثرثر (باروخ) أمامنا عن قوتكم النووية وامتلاككم لعدد كبير من القنابل الذرية ؛ بل وإنشاؤكم لمفاعل نووى هيدروجينى قادر على إنتاج قنابل تساوى القوة التدميرية للواحدة منها مائة قنبلة نووية .. ولا تسبب نفس الأضرار الإشعاعية لبلادكم فى حالة إلقائها على أى دولة مجاورة .

همس (باروخ) فى صوت كالفحيح .. وهو يضغط على كتفى (مراد) من الخلف :

– ألا ترى معى أن هذا الهدف كان يستحق كل تلك المخاطرة التى غامرت بها ؟

أومأ (القناص) برأسه قائلاً :

– لقد أردتم إقناعنا بعدم جدوى الدخول معكم فى أى حرب قادمة ؛ لامتلاككم السلاح النووى والهيدروجينى ؛ وذلك لإشاعة اليأس فى قلوبنا من

محاولة أن نصير نداً لكم .. وإجبارنا على السلام
معكم بشروطكم خشية من تلك القنابل المزعومة .

فرك (عيزر) كفيه فى سرور بالغ هاتفاً :

ـ مرحى .. وكأنك تقرأ كل أفكارى أيها المصرى ..
لقد كان هذا هو ما خططنا له بالضبط لإقناعكم
بوجود ترسانتنا النووية ، وتأكيد وجودها حتى
لا تفكروا يوماً فى الخروج عن ذلك السلام الهش
معكم ، وقد استعنا فى ذلك بصور لمفاعل هيدروجينى
حقيقى حملها (باروخ) إلى سفارتكم فى اليونان ،
حتى تصدقوا روايته عن بنائنا لمفاعل هيدروجينى ..
وهو أمر مستحيل بالنسبة لنا الآن ؛ لأنه يتطلب
تكنولوجيا عالية جداً لا تتوافر لنا .

وصمت (عيزر) لحظة ، ثم أضاف فى مكر :

ـ وقد كررنا نفس الخطة مع (فانوفو) (١)

---

(١) موردخاى فانوفو : يهودى كان يعمل فى
مفاعل ديمونة الإسرائيلى قبل أن يتم الاستغناء عن
خدماته بحجة توفير الميزانية ، وبعدها سافر إلى
استراليا وتعرف على أحد الصحفيين ، وأبرز بعض
الصور التى ادعى أنه التقطها لمفاعل ديمونة الذى
=

فما لا تعرفونه أنه فى الأصل عميل لنا يحمل رتبة
عالية فى الموساد .. وتلك الصور التى نشرها فى
الجرائد عن مفاعل (ديمونة) النووى والقنابل
النووية لدينا .. نحن الذين أعطيناها له . وخططنا
له كل ما فعله بداية من طرده من المفاعل النووى
وسفره أوروبا ، ثم تظاهرنا بالغضب عليه لكشف
أسرارنا النووية وقمنا بمثيلية اختطافه ، واتبعناها
بتمثيلية أخرى لمحاكمته صورياً والحكم عليه بالسجن
فى الوقت الذى ينعم فيه الآن بحريته ! باسم مستعار

=
كان يعمل فيه ، وعرض بيعها لنشرها فى الجرائد
لإثبات أن إسرائيل تملك ما يزيد عن مائتى قنبلة
نووية .. وبعدها قامت الموساد باختطافه إلى
إسرائيل حيث جرت محاكمته بتهمة كشف الأسرار
النووية الإسرائيلية ، وتم الحكم عليه بالسجن ؛ ولكن
مصادر خاصة فى المخابرات العربية تقول :
إن الأمر كله كان تمثيلية دبرتها الموساد لكشف
مخزونها النووى للعالم أو الادعاء بذلك .. وأن
فانوفو عميل للموساد .. وأنه يعيش الآن حراً
طليقاً ويمتلك الملايين التى حصل عليها من الموساد
نظير التمثيلية التى قام بها .

وبملامح اخرى .. وبملايين لا حصر لها ثمناً لخدماته التى قدمها لبلاده .

اكتسى وجه (القناص) بمزيج من الاحتقار والسخرية وهو يقول :

ـ لا عجب فيما قلته أيها الوغد .. فإن لكم براعة تآمرية لا مثيل لها فى التاريخ ؛ ولكن .. ثق أن بلادى لن تنخدع بتلك الادعاءات الزائفة ، وسوف يكتشفون الحقيقة مهما حاولتم إخفاءها .

زوى (عيزر) حاجبيه فى احتجاج ساخراً قائلاً :

ـ وكيف سيكتشفونها .. لا سبيل هناك إلى ذلك أبداً يا عزيزى .. فصديقنا (باروخ) لن يحاول اللجوء لهم مرة أخرى بحقيبة الأسرار .. أما أنت فنحن نضمن سكوتك بعد ذلك للأبد ، إلا إذا قبلت التعاون معنا .

نطق (عيزر) عبارته الأخيرة بلهجة خاصة ذات مغزى ، ثم أضاف فى لهجة متلهفة :

ـ ما رأيك فى عقد اتفاق جنتلمان بيننا .. سوف تحصل على ملايين أكثر مما تحلم أو تتخيل ، وسنؤمن لك حياة جديدة بشخصية مختلفة فى أى دولة فى

العالم ، وستكون حراً طليقاً لا يدرى احد عن حقيقتك شيئاً فى الوقت الذى سيظن فيه المصريون أننا أعدمناك .. وربما يعتبرونك بطلاً ، فيمنحوا اسمك وساماً !

ضاقت عينا (القناص) ، وبدا أن العرض قد لاقى قبولاً لديه وأنه يفكر فى الأمر ، وغمغم قائلاً فى حيرة لمحدثه :

ـ إذا كنت انت مكانى ترى بماذا كنت ستجيب .. هل كنت توافق على مثل ذلك العرض ؟

مال (عيزر) على (القناص) وهو يراقب الكاميرا الخفية التى كانت تسجل كل ما يدور فى الحجرة ، وأجابه همساً :

ـ كنت سأوافق على ذلك العرض بالتأكيد ؛ ولكنى كنت سأجادل قليلاً فى قيمة المبلغ الذى سأناله .. فمبدأى هو الحصول على أعلى الأسعار دائماً !

أجابه (القناص) :

ـ ولكنى لست خائناً ، ولست مستعداً لبيع وطنى مثلك بأى ثمن أيها الوغد ، ودم (الزيادى) لن

يضيع هباءً ، فقد كسرتم قواعد اللعبة باغتيالكم له ، ولسوف يكون الثمن غالياً فى المقابل ، وها أنا أمنحك إجابتى الوحيدة لعرضك القذر .

وبصق (القناص) على الأرض فى غضب واحتقار لا مثيل لهما .. وارتجف (عيزر) فى غضب .. وجز على أسنانه قائلاً :

ـ لقد اهدرت الفرصة الأخيرة التى منحتها لك أيها المصرى باسم الشرف .. ولسوف تدفع الثمن غالياً .. غالياً جداً ؛ ولن يفيد شرفك فى إنقاذ حياتك .

والتفت إلى (هارئيل) صارخاً :

ـ ائتونى بـ (ايفا شاحال) لتتولى أمر هذا التعس وتؤدبه قليلاً قبل أن نقوم بإعدامه !

غمغم (هارئيل) فى صوت يرتجف سروراً :

ـ فى الحال يا سيدى :

وجز (عيزر) على أسنانه مرة أخرى ، وأمسك (بالقناص) من ياقته قائلاً :

ـ لسوف نجعلك تصرخ من الألم وتتمنى لو إن أمك لم تلدك ؛ لتجرب هذا العذاب ، وستطلب منا

الرحمة درن مقابل ؛ ولكنك لن تحصل عليها أبداً .. فعرضنا لن يتكرر مرة أخرى .

أجابه (القناص) فى سخط :

ـ لقد صدعتنى بثرثرتك الفارغة أيها الجنرال .. فلماذا لا تجرب فضيلة الصمت لبعض الوقت ؟

تضاعفت كراهية مدير الموساد وهو يقول :

ـ حسناً .. لسوف تدفع الثمن غالياً وباسرع مما تظن .

واستدار (عيزر) ليغادر المكان .

وخطت (ايفا) فى اللحظة التالية داخل الحجرة ، وقد بدت كنمرة متوحشة ترتعد أطرافها وتصطك أسنانها لفرط اللذة .. لذة التعذيب التى توشك أن تنالها وتتحقق بها متعتها الاثيرة .. والقت (ايفا) نظرة على (القناص) اودعتها كل مشاعرها الوحشية .

وامتدت يدها إلى الحائط والتقطت سوطاً مخيفاً .. واستدارت إلى (القناص) مغمغمة من بين أسنانها :

- لقد كان خطأ منك أن تأتى إلى بلادنا أيها المصرى ، ولسوف تدفع الثمن مضاعفاً .. كما دفعه من قبلك ذلك الثعلب (أحمد الزيادى) الذى تركت جثته داخل سيارته مشوهة محترقة .

جمدت نظرات (القناص) فوق وجه (ايفا) .. وبدت له كلماتها حارقة لاسعة ، وملامحها الفاتنة كريهة بشعة .. يكفيه أن يعرف أنها قاتلة (الزيادى) ؛ لتستولى عليه كل تلك الكراهية نحوها .

ورفعت (ايفا) سوطها عالياً .. وتأهبت لتهوى به فوق (القناص) .

* * *

الفصل السادس

أجازة .. مع ميت

ولكن يد (باروخ) امتدت إلى ذراع (ايفا) وأمسك بها قبل أن تهوى بسوطها فوق (القناص) ، وغمغم فى حقد :

- دعى لى هذه المهمة أيتها الحسناء .. فثمة ثار خاص بينى وبين قوم ذلك الشاب ؛ ولن يأخذ احد بهذا الثار سواى .

وقبل أن يفطن أحد إلى ما يقصد العالم الروسى أخرج من جيبه حقنة بها سائل داكن ، ثم غرس ابرتها فى ذراع (القناص) العاجز عن الحركة .

وصاح (هارئيل) فى دهشة (لباروخ) :

ـ ما الذى فعلته أيها الرجل .. هل حقنته بمادة سامة ؟

اجابه (باروخ) فى لهجة عميقة :

ـ بل بما هو أسوأ .. انظر وسترى بنفسك حالاً :

وما كاد يتم عبارته حتى ارتجفت أطراف (القناص) .. وصار وجهه قانياً بلون الدماء .. وتجمعت بعض البثور فوق جبهته وذراعيه .. وبدا مظهر (مراد) مخيفاً وقد أخذ يعانى من ألم قاتل ، ثم اطلق صرخة هائلة ، ومالت رأسه فوق كتفيه .

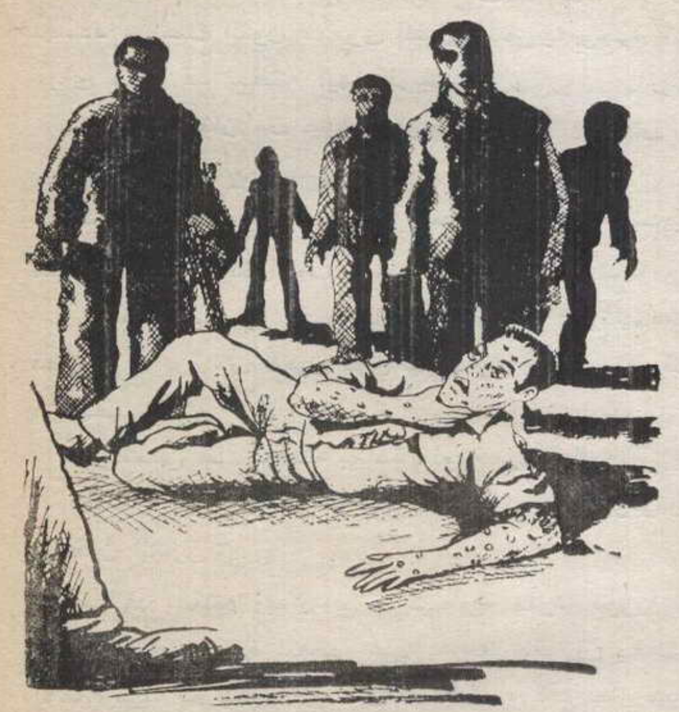
وصرخت (ايفا) فى غضب :

ـ هل قتلته أيها الروسى ؟

اجابها (باروخ) فى سرور وحشى :

ـ ليس بعد .. إنه لن يموت قبل نصف ساعة .. سيعانى فيها آلاماً رهيبة ما بين اليقظة وفقدان الوعى .. وسيتحول جسده تدريجياً إلى كتلة من البثور ولون الدماء المتفجرة .

غمغم (هارئيل) ذاهلاً :



بدا مظهر (مراد) مخيفاً وقد أخذ يعانى من ألم قاتل .

- ولكن .. ما تلك البثور التى انتشرت على جسده ، وذلك اللون الدموى الذى اكتسى به وجهه .. فبأى مادة قد حقنته أيها الرجل ؟

واندفع اثنان من ضباط الموساد نحو (القناص) ليفحصاه ، فصاح فيهما (باروخ) :

- حذار من أن تمساه ، فقد صار هذا الشاب مصدراً للتلوث لكل من يمسه !

اتسعت عينا (هارئيل) ذهولاً .. وتجمعت قطرات غزيرة من العرق فوق جبهته ، وغمغم بصوت مرتجف :

- أتعنى أنك حقنته بمادة ملوثة نووياً ؟

أومأ (باروخ) برأسه مجيباً بنعم ، وقال وعيناه تطلقان الشرر :

- لقد حقنته ببقايا مواد كيماوية ملوثة نووياً ، وقد جعلتها مركزة لتقضى عليه سريعاً بعد أن يعانى آلاماً رهيبة لم يجربها إنسان من قبل ، فقد جاء هذا الشاب لإيقاف برامجنا النووية .. فقتلته بعض نواتج هذه البرامج .

وأشار إلى الضباط المذهولين أمامه قائلاً :

- هناك صندوق من الرصاص فى الخارج ، احضروه لنضع فيه هذا الشاب لنقله إلى احواض حمض الكبريتيك .. فإننى أرغب فى أن أراه يتآكل وهو حى .. ويتألم كما لم يفعل إنسان قبله .. قبل أن يذوب ويتلاشى .. ولا يبقى منه سوى عظام مشوهة .. سنرسلها فى تابوت خاص إلى المصريين مع بالغ عزائنا .

صاح (هارئيل) فى غضب :

ولكن .. ما كان عليك التسرع فى حقن ذلك الشاب بتلك المادة السامة ، فربما يثير ذلك غضب رئيس الوزراء والصحافة و ..

قاطعه (باروخ) قائلاً

- إن موت هذا الشاب هو أفضل حل لنا جميعاً .. حتى لا تنكشف أسرار عمليتنا لأحد .. ويمكننا أن نخبر رئيس الوزراء والصحفيين بأنه ابتلع مادة سامة كان يحتفظ بها معه ، وتناولها فى غفلة منا بعد أن تيقن من سقوطه .

غمغم (هارئيل) :

- يجب أن أخبر (عيزر) بما حدث .. فربما

كانت له وجهة نظر أخرى ٠

وغادر الحجرة سريعاً فى الوقت الذى عاد فيه ضباط الموساد بصندوق ثقيل من الرصاص ٠٠ فارتدى (باروخ) قفازاً خاصاً ٠٠ وحل قيود (القناص) الذى أخذ يستعيد وعيه ثانية ، وقد راح يصدر انيناً مخيفاً ، فمدده (باروخ) داخل الصندوق ، وأشار للضباط فحملوا الصندوق بما فيه هابطين لأسفل ٠٠ إلى قبو (قلعة الرعب) ٠٠ وأحواضها المليئة بحمض الكبريتيك ٠٠

اندفع (عيزر ايخمان) مدير الموساد داخل القبو ، وخلفه (هارئيل) ٠٠ وتوقفا أمام المشهد الرهيب أمامهما ٠٠ كانت الأحماض الكبريتية تفور بشدة وقد ظهر فى قلبها هيكل عظمى اخذ فى التحلل ، وقد بدا ان وصول (عيزر) كان متأخراً عن أن يفعل أى شىء ٠

والتقط (باروخ) الهيكل العظمى بالة خاصة ٠٠ واسقطه داخل صندوق الرصاص واغلقه ثم استدار نحو زائريه وابتسامة شيطانية تتلاعب فوق وجهه ، وفرك كفيه فى سرور وحشى قائلاً :

- لقد انتهى ذلك المصرى الملقب بالقناص ؛ ولن يزعجكما بعد الآن ٠

تبادل (عيزر) و (هارئيل) النظرات ٠٠ وغمغم (عيزر) وهو يجفف عرقه :

- لعلك على حق فيما فعلته يا (باروخ) ٠٠ فإن بقاء ذلك الشاب حياً كان يمكن أن يثير لنا المتاعب أثناء محاكمته ٠

قال (باروخ) فى ابتهاج :

- والآن اسمح لى يا عزيزى (عيزر) أن احتفظ بذلك الهيكل العظمى ٠٠ قبل أن أعيده إلى المخابرات المصرية ؛ ليبكوا عليه هناك كيفما شاءت مشاعرهم الحارة ٠

أشار (عيزر) بيده قائلاً :

- لك ذلك يا (باروخ) ٠٠ فقد كان ذلك الشاب يستحق تلك النهاية على أى حال ٠٠ بسبب سخريته التى أوجعتنى كثيراً ٠٠ وتمسكه الأحمق بشرف بلاده !

وخطى خارجاً ٠٠ وقبل أن يتبعه (هارئيل) ، أمسك (باروخ) بذراعه وغمز له بعينه قائلاً فى مكر :

ـ لقد بلغتنى انباء خاصة أنك تنوى الحصول على أجازة ، وأنك ستسافر خارج البلاد لقضاء الأجازة .

غمغم (هارئيل) فى حذر :

ـ وماذا فى ذلك يا (باروخ) ؟

أضاف الروسى فى مكر أشد :

ـ لقد علمت أيضاً أنك تنوى اصطحاب الشقراء الفاتنة (ايفا) معك فى أجازتك بمناسبة القضاء على ذلك المصرى و ..

قاطعه (هارئيل) فى توتر وقلق :

ـ صه أيها العجوز الماكر واخفض صوتك .

ثم تساءل فى صوت خفيض متهدج :

ـ من أبلغك هذه الأخبار .. إن أحداً لا يعلم عن هذا الأمر سواى و (ايفا) ، وقد اتفقنا أن يبقى هذا الأمر سراً بيننا .. فانت تعرف قوانين الموساد التى تمنع مثل تلك الأشياء بين اثنين من العاملين بها .

أومأ (باروخ) برأسه قائلاً :

ـ إننى أعلم ذلك بالطبع ؛ ولهذا لم أثرثر به أمام (عيزر) .. وأرجو الا تسألنى كيف بلغنى هذا الأمر .. فإن لى عينا فاحصة تلاحظ نظرات الإعجاب

المتبادلة ، واذنا مرهفة السمع تلتقط الهمس الرقيق و ..

قاطعه (هارئيل) فى كراهية :

ـ وما الذى تريده الآن .. هل ترغب فى مكافأة خاصة ؟

حك (باروخ) ذقنه بيده وقال :

ـ لا يا عزيزى .. فالمال كثير لدىّ .. فإننى أحصل على أعلى أجر فى هذه البلاد ولا أدرى كيف انفقه ، ولكن وكما تعلم فإننى لم أحصل على أجازة منذ وقت طويل .. وأجازتى الأخيرة لم تكن سوى مهمة عمل لخداع المصريين .. وهم يرفضون منحى تلك الأجازة التى اشتاق إليها بعيداً عن رقابة جهاز الأمن فى الموساد ، ورقابته اللصيقة لى حتى أثناء نومى .. فإننى أرغب فى بعض اللهو والمرح والعثور على صديقة جديدة .

ووضع يده فوق كتف (هارئيل) مضيفاً فى لهجة خاصة :

ـ إن لك نفوذاً عظيماً فى الموساد يا صديقى ؛ ولن يرفض لك أحد طلباً فى منح عالم ذرة روسى

أجازة قصيرة .. مكافأة له على ما أداه من خدمات لوطنه الجديد .

وترامق الرجلان كذئبين .. وادرك (هارئيل) أن الرفض ليس فى صالحه .. ولم يكن أمامه فى النهاية سوى أن قال :

– سوف تحصل على ما تريد يا (باروح)

واتجه إلى باب القبو .. فقال (باروخ) من الخلف :

– لقد سمعت أن هناك طائرة خاصة ستقلك إلى مكان أجازتك على الشواطىء التركية .. وكنت آمل أن اشاركك السفر فى هذه الطائرة الخاصة .. فإننى رجل مُسن .. ولا أحتمل الرحلات العادية .

زفر (هارئيل) فى غيظ كاتماً مشاعره الخاصة نحو (باروخ) .. كان ذلك الروسى منذ وطأ (إسرائيل) ولا نهاية لطلباته ، أو مكره .. وقبل أن يجيب مدير العمليات الخاصة بشىء ، أضاف (باروخ) فى مكر :

– إننى اقترح عليك تغيير مسار الرحلة إلى (رودس) بدلاً من (تركيا) ، . فشواطىء

(رودس) أفضل ومتعتها لا نهاية لها ، ولست أشك أننا سنقضى هناك وقتاً ممتعاً دون رقيب .

وغمز (باروخ) (لهارئيل) بعينه مرة أخرى فى أشارة خاصة .

وغادر نائب مدير الموساد القبو .. وهو يغلى غضباً .

* * *

حلقت الطائرة الصغيرة فوق شواطىء رودس .. وأطل (هارئيل) من نافذتها الصغيرة نحو الشاطىء البديع ، ثم التفت إلى (ايفا) الجالسة إلى جواره وهى تبادله الابتسام ، وقد ادركت منذ اللحظة الأولى فى عملها فى الموساد أنها لن تصبح شيئاً مذكوراً فى الموساد ؛ إلا إذا منحت رجلاً مثل (هارئيل) كل ما يريد .

كان ذلك هو طريق الترقى الوحيد لأمثالها فى الموساد ، بغض النظر عن النجاح فى تنفيذ المهام التى توكل إليها ، أو إضافة اسماء جديدة لمن قامت باغتيالهم تنفيذاً للأوامر !

وغمغم (هارئيل) :

ـ لسوف نقضى أجازة سعيدة ٠٠ إننى واثق من ذلك ٠

ولكن (ايفا) ألقت نظرة غيظ نحو (باروخ) ٠٠ الذى كان يغط فى نوم عميق ، وقالت فى سخط وضيق :

ـ أما كان يمكنك إزاحة هذا الروسى اللزج من طريقنا ؛ لنتمتع بأجازتنا كيفما نشاء دون رقيب ؟

أجابها (هارئيل) فى بعض الضيق :

ـ لقد حاولت إبعاده عنا وفشلت ٠٠ فقد كان لديه إصرار عجيب فى أن يصطحبنا فى تلك الرحلة ، ولا أدرى كيف علم بأمرها وخشيت من ثرثرته فاضطررت للموافقة على اصطحابنا له ؛ ولكنى أعدك أننا ما إن نطأ أرض تلك الجزيرة ، حتى أرسل من يحطم له ساقاً أو ذراعاً ؛ ليظل أسير حجرته بالفندق ويقضى أسوأ أجازة فى حياته فى حين نمرح نحن كما نشاء بعيداً عن عينيه الماكرتين ٠

أشارت (ايفا) إلى الصندوق الرصاصى الثقيل فى ركن الطائرة إلى جوار الروسى النائم ٠٠ وغمغمت فى ضيق :

ـ وذلك التابوت الذى أصر (باروخ) على أن

يصطحبه معنا ٠٠ إننى لم أكن أتخيل أبداً أن أسافر على طائرة وبداخلها هيكل عظمى لرجل التهمته الأحماض الكبريتية !

زفر (هارئيل) محاولاً أن يتمالك نفسه ، وقال .

ـ لقد حاولت إقناع (باروخ) بعدم اصطحاب ذلك الصندوق ؛ ولكنه أصر على ذلك ، فهو يقول :

إن إرساله بقايا (القناص) إلى بلاده عن طريق (إسرائيل) قد يثير مشكلة دبلوماسية مع (مصر) ؛ ولذلك يريد إرسالها من (رودس) ، وقد رأيت أنه على حق ؛ ولذلك وافقت على أن يجلب بقايا ذلك الشاب فى ذلك التابوت .

غمغمت (ايفا) فى توتر :

ـ إننى أشعر وكأن جثة ذلك المصرى تطل علينا من تابوتها ٠٠ وتنتظر اللحظة المناسبة لنسدد إلينا جميعاً انتقامها .

ربت (هارئيل) على كف (ايفا) قائلاً :

ـ دع عنك تلك الأفكار ٠٠ فالأموات لا يعودون للحياة ، ولنستمتع بأجازتنا .

وبعد دقائق حطت الطائرة فوق مطار الجزيرة ، وبدأت الأجازة الصاخبة ..

أجازة يقوم بها رجلان وامرأة وتابوت .. يضم بقايا رجل ..

أو بقايا بطل .

* * *

الفصل السابع

المفاجأة

تمطت (ايفا) فى فراشها .. وفتحت عينيها وهى تشعر بحذر لذيذ .. والتفتت يساراً فشاهدت (هارئيل) وهو يخطو عبر الباب الفاصل بين حجرتيهما ، وقد ارتدى ملابسه وصفف شعره بعناية .. واقترب منها باسماً وهو يقول :

— هل نمت نوماً جيداً ؟

أومأت (ايفا) برأسها باسمة ، ونهضت لتستبدل ملابسها أيضاً .

وفى الواقع .. فقد كانت ليلتها بالغة السوء ؛

ولكنها لم تشأ أن تعترف (لهارئيل) بذلك ، وقالت وهى تمسك برأسها :

ـ إننى أشعر بصداع ثقيل .. وأحس كأننى نمت عاماً كاملاً !

قال (هارئيل) :

ـ هذا هو ما أحسست به أيضاً بعد استيقاظى ؛ ولكن بعد أن حصلت على حمام منعش تبدد ذلك الصداع .

وأضاف باسماً :

ـ كلما تذكرت ذلك الروسى اللزج (باروخ) ، وما فعلته به بالأمس انفجر ضحكاً .. فقد وضعت له مسحوقاً منوماً فى شرابه عند وصولنا الشاطىء .. ولست أشك أنه لايزال يغط فى نوم عميق لن يفيق منه قبل الغد .

والقى نظرة إعجاب لنفسه فى مرآة الحجرة العريضة المزينة بالورود ، والتفت إلى (ايفا) مواصلاً :

ـ إنك تتحدثين الآن مع رئيس الموساد المقبل

فما من شك فى أن نجاحنا فى التخلص من ذلك المصرى ، وانتهاء عملية (باروخ) بأفضل مما خططنا لها .. سيدفعنى إلى القمة بسرعة ..

وضاقت عيناه وهو يضيف :

ـ أما ذلك العجوز الماكر (عيزر ايخمان) فيمكن أن تقوم سيارة مسرعة بإنهاء حياته .. فما أكثر حوادث الطرق فى بلادنا .. وبعدها لن يجدوا أفضل منى لأحل محله .

اقتربت (ايفا) فى دلال من (هارئيل) ، وقالت :

ـ هل ستتخلص منى أيضاً بحادث سيارة متعمد ؟

فأمسك كفها وربت فوقها بنعومة مجيباً :

ـ بل إنك سوف تصيرين السيدة الأولى فى الموساد .. وغمز لها بعينه .. وانفجر الاثنان ضاحكين بشدة .

وطُرِقَ الباب .. وجاء صوت من الخارج عبر الباب المغلق يقول :

ـ خدمة الغرف يا سيدى .

التفت (هارئيل) إلى (ايفا) قائلاً :
- لقد طلبت شمبانيا قبل استيقاظك ·
غمغمت فى دهشة :
- شمبانيا فى الصباح !:
فاطلق ضحكة عالية قبل أن يقول :
- لسوف نفعل أشد الأشياء جنوناً ·· احتفالاً بذلك النصر الساحق الذى حققناه على ذلك الشيطان المصرى (القناص) الذى ظننت فى لحظة ، أننى لن أعيش لأشهد نهايته ·

وفتح الباب فخطى عامل خدمة الغرف للداخل وهو يدفع أمامه عربة صغيرة ·· رصت فوقها زجاجات الشمبانيا ، وقد بدا أنه يتعمد إحناء رأسه ، وإخفاء ملامحه لسبب ما ·· وامتدت يداه لتفتح إحدى زجاجات الشمبانيا ، فهتف (هارئيل) فى حدة :
- أنا لم أطلب منك أن تفتح أى زجاجة أيها الأحمق ·· فاستدار العامل وهو يقول :
- لقد رأيت أن نحتفل سوياً بانتصارك البارع يا سيد (هارئيل) على المصريين ·
جمد نائب مدير الموساد مكانه عندما تبين ملامح

محدثه ·· والأفضل أن نقول إنه أصيب بشلل !! وقد فغر فاه عن آخره ·· وبدت ملامحه مثالاً للذهول الإنسانى الذى لا مثيل له ·· وأراد أن يقول شيئاً ؛ ولكن لسانه لم يطاوعه ؛ بل لعله لم يجد لساناً ينطق به ·· ولا اسعفه عقله الذى أُصيب بشلل تام ·

ولهثت (ايفا) بشدة حتى صارت أنفاسها مثل زفير بركان متقد يوشك على الانفجار ·· وتراجعت خطوة للوراء غير مصدقة ما تراه ، وهى تغمغم فى جنون للعامل :
- أنت ·· لا ·· مستحيل ·
غمغم (هارئيل) ، وهو يبتلع لعابه فى صوت مسموع :
- لعل ذلك العامل شبيه لذلك المصرى الذى ··
قاطعه عامل الفندق قائلاً فى لهجة حاسمة :
- هذا إنقاص لقدرى لا أقبله يا سيد (هارئيل) ·· فلا شبيه لى على الاطلاق ·
زاد ذهول (هارئيل) وأوشك على الجنون ·· لم تكن ملامح العامل وحدها هى التى أكدت

شخصيته ؛ بل كانت لهجته الحاسمة الباترة أيضا .

لم يكن ذلك العامل سوى (القناص) نفسه !

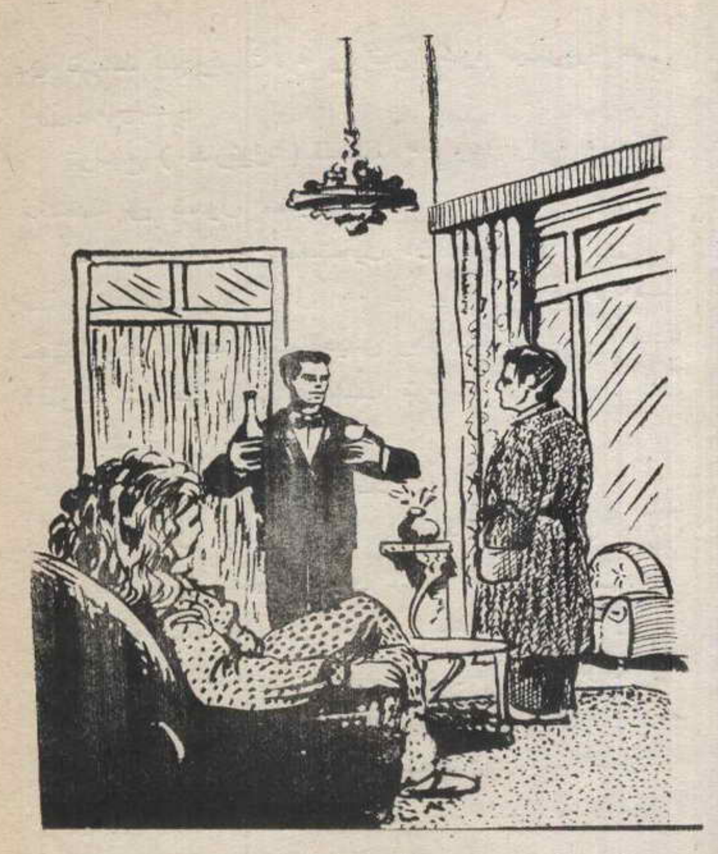
لم يكن هيكلاً عظمياً بأى حال .. ولم تكن هيئته تبدو كرجل التهمته الأحماض الكبريتية بأى حال أيضاً ..

غمغم (هارئيل) فى ذهول .. وقد تجمع العرق غزيراً على وجهه :

ـ إنك ميت .. لقد رأيت هيكلك العظمى ، وذلك الوغد (باروخ) ينتشله من حوض حمض الكبريتيك .

أجابه (القناص) ساخراً :

ـ فلنقل أننى محصن ضد مثل تلك الأحماض .. وفى الواقع إننى أكرهها تماماً ؛ ولهذا اقنعت صديقى العزيز (باروخ) بألا يلقينى فيها ، وبسبب طيبة قلبه فقد وافق على ذلك مقابل أن منحته تميمة حظى التى اتفاءل بهـا .. وإظهاراً من (بـاروخ) أنه لا يقل كرماً .. فقد اصطحبنى فى تلك الرحلـة لأكون على مقربة منكما ، وأعترف أن الرقاد داخل ذلك التابوت الثقيل لم يكن بالرقاد المريح ؛ ولكنهـا كانت الطريقة المثلى لمغادرة (إسرائيل) دون تطفل



جمد نائب مـدير الموسـاد مكـانه عندمـا تبين ملامح محدثه .

من ضباط الجوازات ، وفرض رسوم جمركية على الوزن الزائد !

تراجع (هارئيل) للخلف .. وهز رأسه فى عنف مغمغماً فى ذهول مطبق :

ـ مستحيل .. مستحيل أن يكون (باروخ) قد فعل ذلك بأى حال .. لا يمكن أن يكون قد خاننا أبداً ، فقد رأيته بعينى وهو يحقنك بتلك المادة الملوثة اشعاعياً التى جعلتك توشك أن تتحول إلى مسخ بشرى و ..

قاطعه (القناص) قائلاً :

ـ لا تكن مبالغاً هكذا يا سيد (هارئيل) .. فلم يكن ما بالمحقن سوى مادة خاصة تثير بعض الحساسية فتتسبب فى ظهور تلك البثور وتصبغ الجسم بلون دموى .. قبل أن ينتهى مفعولها بعد اقل من نصف ساعة دون أن تترك اى أثر .. وكما ترى .. فقد كنت بارعاً فى تظاهرى بالألم الشديد ، وهى براعة اعترف بها كل الأوغاد الذين صادفتهم فى عملى قبل أن أُرسلهم إلى الجحيم .

صرخت (ايفا) فى غضب وحشى :

ـ ذلك الخائن (باروخ) .. لسوف أمزق جسده بأظافرى وأُلقى به طعاماً للكلاب .

أجابها (القناص) فى رقة :

ـ إن ذلك سيفسد أظافرك يا سيدتى ، وهو ما لا ينصح به خبراء التجميل أيضاً !

وخطى (باروخ) داخل الحجرة ونظرة صارمة باردة تطل من عينيه .. وجز (هارئيل) على أسنانه فى جنون قائلاً :

ـ أيها الخائن .. اى شيطان دفعك لأن تضع يدك فى يد أشد أعدائنا ضراوة .. لو انك طلبت منا مالاً لمنحناك الملايين فوق ما أخذته من قبل .

ربت (القناص) على كتف (باروخ) فى ود قائلاً :

ـ ليس كل الأشخاص يمكن شراؤهم بالمال .. فهناك مَنْ لا يبيعون ضمائرهم ومبادئهم ولا بكل كنوز الدنيا .

صرخ (هارئيل) فى جنون أشد وهو يشير (لباروخ) :

- إن هذا الخائن كان يمتص المال منا مثل أرض صحراوية تبتلع أى قدر من الماء يسقط فوقها ..

أجابه (القناص) :

- إننى اوافقك ذلك الرأى عن (باروخ) .. فهو شره حقاً للمال شراهة ذئب ضارى للجيف النتنة ؛ ولكن ذلك الشخص الذى تتحدث عنه لا علاقة له بذلك المخادع الروسى ؛ بل إنه شخص آخر .. مختلف تماماً .

وامتدت يد (القناص) لتزيح شيئا عن وجه (باروخ) .. كان قناعاً جلدياً بلون البشرة تماماً .. يستحيل على أى إنسان أن يلاحظه .. وشهق (هارئيل) و (ايفا) عندما وقع بصريهما على ذلك الرجل الذى لا يمت لباروخ بأى صلة ، وقال (القناص) :

- أقدم لكما السيد (جلال الزيادى) الأخ الأكبر (لأحمد الزيادى) الذى اغتالته أيديكم الآثمة ، وهو من أبرع ضباط المخابرات فى (مصر) .. مثل أخيه الشهيد تماماً !

تراجع (هارئيل) و (ايفا) للوراء فى حركة

واحدة .. وعيونهما متسعة عن آخرها فى ذهول مطبق . كان ما يجرى أمامهما اشد جنوناً من أى شىء آخر صادفاه فى حياتهما . وقال (القناص) مستطرداً :

- لقد ادركنا منذ اللحظة الأولى أن هروب (باروخ) إلينا كان بتدبير من الموساد .. فقد فضحته تلك الصور التى أتى بها (باروخ) عن المفاعل الهيدروجينى ، الذى ادعى بناؤه فى (تل أبيب) .. فقد ثبت لخبرائنا أنها لمفاعل هيدروجينى بالفعل ؛ ولكن لسوء حظكم فإن احد علماءنا كان يعمل فى المفاعل الهيدروجينى الوحيد فى العالم فى أمريكا ، وقد تاكد لنا أن تلك الصور هى لذلك المفاعل فى أمريكا .. لا فى (تل ابيب) .. وهكذا تاكدنا بدلالة قاطعة من كذب رواية (باروخ) ، ومن أنه يعمل مع الموساد بهدف إيهامنا ببناء (إسرائيل) مفاعل هيدروجينى بالإضافة إلى قنابلها النووية .. التى أخذ يحدثنا عن عددها الكبير وقوتها التدميرية الرهيبة .. وقد رأينا الاستفادة من كل تلك الظروف والتأكد من شىء خاص .

وصمت (القناص) لحظة ٠٠ وأضاف (جلال الزيادى) :

– لقد كنا نرغب دائماً فى التأكد من امتلاك (إسرائيل) للقنابل النووية بالحجم الشائع عنها ؛ ولكن كان مستحيلاً التسلل إلى مفاعلها النووى للتأكد من ذلك ، وقد منحنا سقوط (باروخ) فى أيدينا تلك الفرصة الذهبية ٠٠ فإننا متماثلان فى الحجم تقريبا ٠٠ كما أننى أجيد اللغة العبرية ، وبقناع خاص أمكننى أن أتحول إلى صورة من (باروخ) الذى تم ترحيله إلى (القاهرة) فى سرية تامة لاستجوابه ٠٠ أما أنا فاخذت مكانه ٠٠ وكنت من اختطفته (ايفا) من السفينة ٠٠ لا (باروخ) الحقيقى الذى رفض البوح باى شىء فى البداية .

ولكن ٠٠ بعد أن كشفنا له أن الموساد قتلت أخيه التوأم ، وألقت بجثته فى أحد حمامات السباحة اليونانية ؛ لكى نعثر عليه ونستخدمها متظاهرين بأنها جثة (باروخ) ذاته ٠٠ فقد جن جنونه لما فعلته الموساد بأخيه ، وانضم إلى جانبنا ومنحنا كنزاً من المعلومات عن مفاعل (ديمونة) .

تصاعد لهاث (هارئيل) و (ايفا) بشدة كأنها أنفاس محترقة ٠٠ كان ما يسمعاه ويشاهداه أشبه بفيلم سينمائى خيالى ٠٠ يستحيل حدوثه على أرض الواقع بأى حال بتلك المفاجآت المذهلة ، وأضاف (القناص) :

– وهكذا ذهب (جلال الزيادى) إلى (إسرائيل) باعتباره (باروخ) ٠٠ وبالطبع كان سهلاً عليه دخول المفاعل النووى فى (ديمونة) بتلك الصفة ، وقد تأكد من كذب ادعائكم بامتلاك ذلك القدر الضخم من القنابل النووية ، وقد سارت بقية خطتنا بعدها سيراً حسناً وبفضل معلومات مخابراتنا عن علاقتكما الخاصة ، ورغبتكما فى الحصول على اجازة سوياً . أمكن وضع خطة مبتكرة ؛ لإفساد تمتعكما بتلك الإجازة !

غمغم (هارئيل) فى لهاث عظيم :

– إذا كان ذلك صحيحاً ٠٠ فما الذى دفعك للمجىء إلى بلادنا والمخاطرة بحياتك ما دام أن (باروخ) كان مزيفاً ، وكان أحد رجالكم ؟

أجابه (القناص) :

ـ لقد خشينا ان تكتشفوا حقيقة (جلال الزيادى) ؛ ولهذا اردت البقاء قريباً منــه لحمايته حتى تنتهى مهمته .. كما اننى رغبت فى صرف انظاركم عنــه بتحويلها نحوى بهدف مطاردتى واقتناصى .. هذا بالإضافة إلى دافع شخصى فى توجيه لطمة قاسـية لكم فوق ارضـكم ، وإلحاق هزيمة مؤلمـة بجهـاز مخابراتكم الذى تفخرون بــه وتنسبون له الأساطير ؛ لكى لا يكرر مثل تلك الألاعيب القذرة مرة أخرى لمحاولة خداعنا .. وها أنتمـا تريـان أن تخطيط الموساد قد انقلب عليها .

صرخت (' ايفا) فى غضب وحشى :

ـ أيهـا المخادعين .. لقـد جعلتمونـا نتصرف كالبلهاء مثل قطع شطرنج تحركونها كما تشاءوون فى الوقت الذى كنا نظن فيه أننا نتلاعب بكم .. وها نحن نكتشف أننا كنا المخدوعين مثل بعض الحمقى المغفلين ؛ ولكن ذلك الأمر لن يستمر طويلاً ، وسأقوم بإصلاحه فى الحال .

والتقطت بحركة سريعة مسدساً من أسفل وسادتها

وصوبته نحو (القناص) وضغطت فوق الزناد ؛ ولكن الرصاصة لم تنطلق من المسدس .

وكررت (' ايفا) المحاولة دون جدوى ، فأصابها ذهول وقال (جلال الزيادى) ساخراً :

ـ لا داع للمحاولة .. فقد قمت بإفراغ المسدس من الرصاص مساء أمس أثناء نومكما .

هتف (هارئيل) فى دهشة بالغة :

ـ ولكن كان المفترض أنك تناولت ذلك المشروب الذى يحوى مادة منومة قوية المفعول ، فكيف أفقت منها سريعاً ؟

أجابه (' الزيادى) :

ـ لست بالرجل الذى يجرى خداعه بمثل تلك الطريقة .. وقد رددت إليكما التحية بأحسن منها ، فوضـعت نفس المـادة فى زجاجات الشـمبانيا التى احتسيتماها ليلـة أمس ؛ لتنعما بنـوم عميق حتى لا تسببا لنا أى مشاكل أثناء رحلة العودة .

غمغم (هارئيل) فى دهشة وغضب :

ـ عن أى عودة تتحدث أيها المصرى ؟ إذا كنت تظن أنك وزميلك قد فزتما علينا فانتما واهمان ..

فهناك بعض من أخلص رجالى قد جلبتهم معى بصفة خاصة لحمايتى .

واندفع (هارئيل) نحو باب الحجرة .

ولكنه مــا كاد يخطو خارجاً حتى توقف مكانه واتسعت عيناه عن آخرهما وأوشكتا أن تقفزا مــن محجريهما .

كان ما يشاهده (هارئيل) فى تلك اللحظة أمر بعيد عن أى عقل أو منطق ؛ بل كان أمر اقرب إلى الجنون .

أو لعله الجنون نفسه .

* * *

الفصل الثامن

باقة ورد .. فوق قبر البطل

كان المشهد الذى يراه (هارئيل) فى تلك اللحظة مختلفاً بكل تأكيد عما شاهده بالأمس ..

فقد كانت ثمة صالة متسعة أمامه تتناثر فيها بعض المكـاتب .. يعمل فوقها بعض العـاملين ؛ لم تكن هناك ساحة خضراء .. ولا شاطىء .. أو مصطافين ؛ بل كان هناك أيضاً رجال فى حلل أنيقة داكنة .. أخذوا يتطلعون إليه فى صمت ، وقد أخفت نظاراتهم السوداء مشاعرهم .

ونطق أحدهم قائلاً :

ـ مرحباً بـك يا (هـارئيل) فى (مصر) ..

وأزاح نظارته عن عينيه مستطرداً :

ـ بـل فى مبنى المخـابرات المصريـة فى (سراى القبة) !!

كان المتحدث هو مدير المخـابرات المصريـة .. وإلى جواره (فخرى سيف) .. وآخرون . اكتشف (هارئيل) شخصياتهم عـلى الفور حـالما أزاحوا نظاراتهم السوداء عن عيونهم !

أحس (هارئيل) كأنه تلقى لطمة أوشكت أن تذهب بعقله .. فأى جنون أكثر مما كان يشهده فى تلك اللحظة .

تـراجع للـوراء .. وغمغم فى صـوت مبحوح هامس .. كأنه لا يصـدق نفسـه : مسـتحيل .. مستحيل أن يكون ما أراه أمامى حقيقة واقعة !! لابد أنه كابوس !

ولكن صـوت (القنـاص) جـاءه مـن الخلف يقول :

ـ بل إنه الحقيقة بعينها .. فليست الموسـاد وحدها التى تجيد التخطيط ، وحبك الخـدع ،

فقد كان من السهل بعـد تخديركما مسـاء امس فى ذلك الفندق على الشاطىء فى (رودس) ، نقلكما بطائرة بضائع خاصة إلى (مصر) .

أمسك (هارئيل) برأسـه وكأنـه يوشـك أن ينفجر ، وغمغم بشفتين مرتعدتين :

ولكن .. هاتين الحجرتين اللتين استيقظنا أنـا و (ايفا) ووجدنا نفسنا فيهما .. إنهما تشبهان تمام الشـبه نفس الحجرتين اللتين كنا نقيم فيهمـا فى (رودس) ، فكيف فعلتموهما ؟ !

قاطعه مدير المخابرات بابتسامة باردة :

ـ لم يكن هنـاك أسـهل من اصـطناع حجرتين متشابهتين لهما داخل قلعتنـا الخاصة منـذ وقت ؛ ولهذا حاول (جلال الزيادى) إقناعك بالذهـاب إلى (رودس) لقضاء أجازتك .. لتكتمل المفاجأة فى النهاية .. فهل أعجبتك اللعبة ؟ وهل لازلت على رأيك بان مخابرات بلادك هى الابرع ؟

أخفى (هارئيل) وجهـه بكفيه ثم انفجـر فى نحيب حار .. وقد بدا كطفل عاجز عن القول أو

الفعل ، وتبادل رجال المخابرات المصرية النظرات فى سخرية واحتقار .

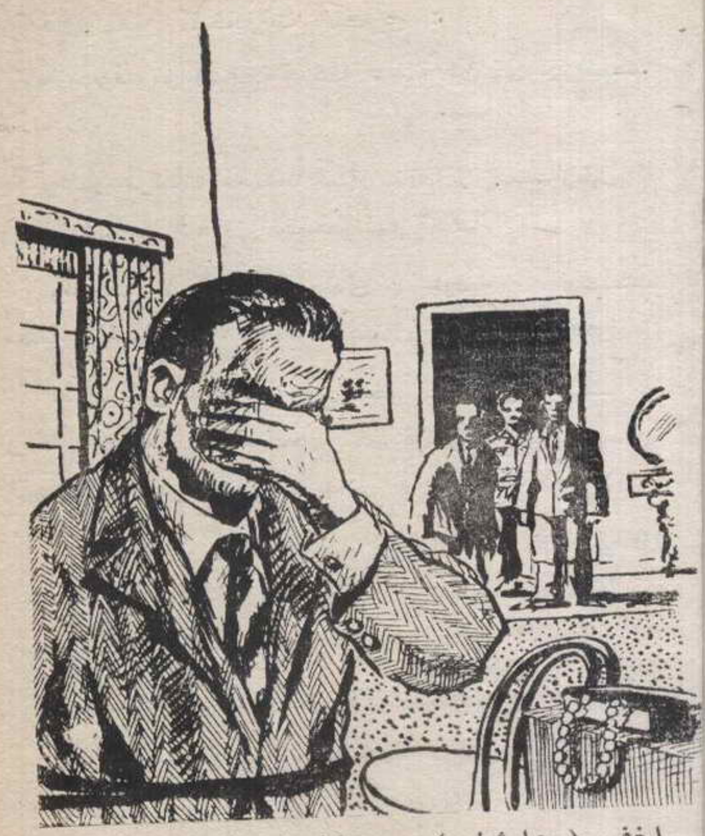
واقترب (القناص) فى احتقار من (هارئيل) قائلاً :

ـ كف عن البكاء أيها الرجل .. فدموعك لن تمنحك شفقة أو رحمة .. فهناك بعض الأنباء السيئة لك ، فقد بعثنا برسالة خاصة للموساد نخبرهم فيها بوجودكما فى (القاهرة) ، وبأن (باروخ) الحقيقى كان فى أيدينا منذ البداية .. وأننا ما كنـا نتلاعب بكم ، كما أخبرناهم بتاكدنا من حقيقة القوة النووية المزعومة لديهم ، واننا اكتشفنا كل أسرارها الحقيقية .

وقـد زلزلت تلك الرسـالة كـل السـياسيين فى (إسرائيل) .. وأصدر رئيس الوزراء هناك أمراً بإحالة (عيزر ايخمان) للمحـاكمة وفصـله عـن وظيفته .. وقد تجاهلوا جميعاً أى اشارة لكما وكأن لا علاقة للموساد بكما على الاطلاق .

انفجر (هارئيل) صارخاً :

ـ لا يمكن أن يتركنـا هؤلاء الأوغـاد هكـذا !! فلطالما أسدينا لهم خدمات لا حصر لها .



اخفى (هارئيل) وجه بكفه ثم انفجر فى نحيب حـــار .

قال مدير المخابرات المصرى :

ـ لسوف تواجهان محاكمة عادلة عن كل جرائمكما ضدنا ·

واشار لرجاله فأحاط ستة منهم (بهـــارئيل) و (ايفـــا) اللذين استسلما لهم تماماً ··

واغمض (جلال الزيادى) عينيه ·· وامتلأت مقلتاه بالدموع · دموع الأبطال ، وهمس يقول :

ـ أشـــعر الآن أن روح أخى ترقد فى قبرهـــا فى راحة ·· بعد أن اقتصصنا من قاتليه · ربت مـــدير المخابرات على كتف (جلال) قائلاً :

ـ لقد قمت بعمل عظيم أيها البطل ·· وبفضلك سددنا انتقاماً هائلاً للموساد ، والحقنا بها هزيمة سيظلوا يذكرونها لسنين طويلة ·

واستدار إلى (القناص) مضيفاً :

ـ لقد تجاوزت الأوامر أيها الرجل ·· على غير عادتك ·

أجابه (القناص) فى هدوء وثقة :

ـ كان الأمـــر يختلف هـــذه المرة يا سـيدى ·· وأضاف فى لهجة لائمة :

ـ لو أن السيد (فخـــرى) اطلعنى عـــلى كـــل التفاصيل منذ البداية ؛ لربما اختلف الأمر ورد فعلى ·

أجابه (فخرى) بابتسامة عريضة :

ـ كنت أرغب أن تصل إلى (إسرائيل) وأنت مسلح بروح المقاتل المتحدى ؛ ولهذا أجلت اطلاعك بواســطة عملائنـــا فى (إسرائيل) عـــلى حقيقـــة (جلال الزيادى) ، وأنه ليس (باروح) حتى اللحظة الأخيرة ·· وقـــد صدق حـــدسى ·· وكـــان أداؤك أكثر من رائع ·

مط (القناص) شفتيه قائلاً :

ـ إننى لم أكن أكثر من ضيف شرف فى هـــذه المهمة ·· وقد قام السيد (جلال الزيادى) بالعمل كلـــه ·

احتضن (الزيادى) (القناص) قائلاً

ـ بل لولاك ما انتهت هذه المهمة بتلك الصورة ، فقد كان وجودك إلى جوارى وسط الاعداء يمنحنى

القوة والثقة .. ولا تنسى أنك من قام بتلك الثلاثية لخدمة مستقبل (مصر) النووى .. فقد استعدت الميكروفيلم الخاص بالمفاعل النووى المصرى بعـــد سقوطه داخل القنـــاع فى تلك الجزيرة المعلونـــة .. وبعدها حصلت على الوقود النووى فى المهمة التالية بأكثر مما تحتاجه بلادنا لانشاء أول مفاعل نووى لهـــا .. وفى هـــذه المهمة الأخيرة تأكدنـــا بشـــكل قـــاطع مـــن إمكـــانية لحاقنـــا بقـــوة (إسرائيل) النووية وأنها ليست بذلك القدر الذى يشيعونه عنها .

ومسح دموعه مضيفاً :

ـ بعد الآن لـــن أزرف دمعـــة واحدة عـــلى أرض العزيز .. فقد مات بطلاً وشهيداً .

أومأ مدير المخابرات برأسه فى صمت .. وضغط على كتف (جلال) فى اشفاق ومواساة .

وقال (القناص) فى تأثر :

ـ هناك عمل خاص ينبغى علينا القيام به قبل أن نطوى صفحة هذه المهمة .

أومأ السيد (فخرى سيف) برأسه ، وقد ادرك

ما قصده (القناص) .. وبعد دقائق كانت بعض سيارات المخابرات المصرية تأخذ طريقاً خاصاً إلى المقابر لتضع باقة ورد فوق قبر (أحمد الزيادى) .. البطل الشهيد .

* * *

المهمة القادمة

(المطاردة القاتلة)



القناص
المحترف

٥ - قلعة الرعب

- فى جرأة تصل إلى حد التهور .. اقتحم القناص أرض الأعداء كاشفاً عن اسمه .. وشخصيته الحقيقية .
- وفى جرأة تصل إلى حد الجنون .. اقتحم القناص مبنى المخابرات الإسرائيلية المعروف باسم الموساد .. أو قلعة الرعب .
- ترى لماذا غامر القناص بحياته فى تلك المهمة المستحيلة وسط بحر من الأعداء .. وكيف كانت نهاية مغامرة القناص .. فى قلب جحيم قلعة الرعب ؟



القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من ش الألفى (مطابع سجل العرب) ت : ٩٣٢٧٠٦ - ص.ب : ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش بالهرم